مجلـــــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــــة محكّمـــــة

فصليـــّـــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: ثلاثة وسبعون

السنة: الثامنة والأَربعون

الموصـــــــل

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الهيئة الاستشارية

- أ.د. وفاء عبد اللطيف عبد العالي — جامعة الموصل/ العراق (اللغة الإنكليزية)
- أ.د. جمعة حسين محمد البياتي — جامعة كركوك / العراق (اللغة العربية)
- أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي — جامعة بابل/ العراق (تاريخ وحضارة)
- أ.د.حميد غافل الهاشمي — الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية/ لندن (علم الاجتماع)
- أ.د. رحاب فائز أحمد سيد — جامعة بني سويف / مصر (المعلومات والمكتبات)
- أ. خالد سالم إسماعيل — جامعة الموصل/ العراق (لغات عراقية قديمة)
- أ.م.د. علاء الدين احمد الغرايبة — جامعة الزيتونة/ الأردن (اللسانيات)
- أ.م.د. مصطفى علي دويدار — جامعة طيبة/ السعودية (التاريخ الإسلامي)
- أ.م.د. رقية بنت عبد الله بو سنان — جامعة الأمير عبدالقادر/ الجزائر (علوم الإعلام)

الأفكار الواردة في المجلة جميعاً تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: ثلاثة وسبعون — السنة: الثامنة والأربعون

رئيس التحرير

أ.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري

سكرتير التحرير

أ.م.د.بشار أكرم جميل

هيئة التحرير

أ.د.محمود صالح إسماعيل	أ.د.عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن
أ.د.مؤيد عباس عبد الحسن	أ.د.علي أحمد خضر المعماري
أ.م.د.سلطان جبر سلطان	أ.م.د. أحمد إبراهيم خضر اللهيبي
أ.م.د. زياد كمال مصطفى	أ.م. قتيبة شهاب احمد

المتابعة والتقويم اللغوي

م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	— مدير هيئة التحرير
أ.م.أسامة حميد إبراهيم	— مقوم لغوي/ لغة الإنكليزية
م.د. خالد حازم عيدان	— مقوم لغوي/ لغة عربية
م. مترجم.إيمان جرجيس أمين	— إدارة المتابعة
م. مترجم.نجلاء أحمد حسين	— إدارة المتابعة
م.مبرمج. أحمد إحسان عبدالغني	— مسؤول النشر الإلكتروني

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة.

((هيئة التحرير))

المحتويـات

العنـوان	الصفحة
الطللية رمزاً للهوية العربية في شعر ما قبل الإسلام أ.د. مؤيد محمد صالح اليوزبكي * و م.م.محمود عمر محمد سعيد	١ - ٣٠
محمد بن إسماعيل الصنعاني اليمني المعروف بالأمير (١٠٩٩ هـ . ١١٨٢ هـ) ومنهج الكشف عن الدلالات اللفظية دراسة في كتابه : تفسير غريب القرآن أ.م.د . أحمد صالح يونس محمد	٣١ - ٦٦
بناء القصيدة الدينارية للمتنبي أ.م.د. نوار عبد النافع الدياغ	٦٧ - ٨٠
سيرة أبي حنيفة النعمان ومتنه : (المقصود) - جمع وتوثيق- أ.م.د. معن يحيى محمد العبادي و م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	٨١ - ١٠٦
الألفاظ الدالة على الحيوان في آي من القرآن المجيد م.د. صلاح الدين سليم محمد	١٠٧- ١٣٦
قراءة عمرو بن عبيد (ت١٤٤هـ) . جمع وتوثيق ودراسة . م.د.خالد علي سليمان الشمري	١٣٧- ١٦٢
جماليات التصوير الفني في سورة الزلزلة م.د. صبا شاكر محمود الراوي	١٦٣- ١٨٤
قراءة أبي الدرداء (رضي الله عنه)- جمع ودراسة - م.د. رافع عبد الغني يحيى الطائي	١٨٥ - ٢١٠
أثر المصوتات القصيرة في دلالة البنية الصرفية م.د. شوكت طه محمود	٢١١- ٢٥٦
علامات الاتصال غير اللفظية في شعر الشريف الرضي م.د. حمد محمد فتحي	٢٥٧- ٢٧٤
توظيف اللغة من الدال الصوفي الى التعبير الفني في ديوان مدخل الى الضوء للشاعرة وفاء عبد الرزاق م.د. قاسم محمود محمد	٢٧٥ - ٣٠٢
أثر التأقيت في عقد الزواج د. مريم محمد الظفيري	٣٠٣ - ٣٣٠
الوزير العباسي ابن الفرات(٢٩٦ – ٣١٢هـ / ٩٠٨ – ٩٢٤م) وإصلاحاته الإدارية والمالية في الدولة العباسية أ.م.د. مهند نافع خطاب المختار	٣٣١ - ٣٧٦
خانية آسيا الوسطى المغولية دراسة سياسية (٦٢٤- ٧٦٥هـ/١٢٢٦- ١٣٦٤م) أ.د.علاء محمود قداوي و أ.م.د.رغد عبدالكريم النجار	٣٧٧ – ٤٤٤

الإدارة المالية والضرائب في مصر في عهد محمد علي باشا ١٨٠٥-١٨٤٨م م.د أحمد محمد نوري أحمد العالم	٤٤٥ – ٤٨٨
لمحات عن حياة الصحابي محمد بن مسلمة الانصاري "رضي الله تعالى عنه" م.د. سالم عبد علي العبيدي	٤٨٩ – ٥٠٤
منهج التربية الوطنية وتأثيره في التنشئة السياسية للصف السادس الابتدائي دراسة اجتماعية تحليلية أ.م. إيمان حمادي رجب	٥٠٥ – ٥٢٨
مدرسة شيكاغو المبكرة ١٨٩٢-١٩٥٠ دراسة اجتماعية في المكان والتاريخ والتطبيق أ.م. نادية صباح محمود الكبابجي	٥٢٩ – ٥٥٢
"الحياة الاجتماعية العراقية في مرآة الرحّالة الأوربيين" دراسة تحليلية أ.م. حارث علي حسن	٥٥٣ – ٥٧٦
السمات العامة للشخصية الموصلية من خلال الأمثال الشعبية دراسة اجتماعية – تحليلية م.ريم أيوب محمد	٥٧٧ – ٦٠٠
واقع المرأة بين العرف الاجتماعي والقانون دراسة اجتماعية تحليلية م. هند عبدالله احمد و م. إيناس محمد عزيز	٦٠١ – ٦٢٢
التنظيم الأسري ودوره في الحد من الطلاق-دراسة ميدانية في مدينة الموصل م.م داليا طارق عبد الفتاح	٦٢٣ – ٦٤٨
تحليل الاشارات الببليوغرافية لاطروحات الدكتوراه لكلية القانون في جامعة الموصل للأعوام (٢٠٠٢-٢٠٠٦) م. وسن سامي الحديدي م. رفل نزار عبد القادر الخيرو	٦٤٩- ٦٨٨
خطة تنفيذ خدمة الإحاطة الجارية عن طريق الفيس بوك في مكتبة المعهد التقني /الموصل م. أمثال شهاب احمد الحجار	٦٨٩- ٧٠٨

أثر المصوتات القصيرة في دلالة البنية الصرفية

م.د. شوكت طه محمود *

تأريخ التقديم: ٢٠١٧/١٠/٢ تأريخ القبول: ٢٠١٧/١١/٧

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وأفضل الخلق محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد ... فإن هناك كلمات كثيرة في اللغة العربية تتفق في حروفها الصوامت وتختلف فيما بينها في مصوتاتها القصيرة؛ فيؤدي إلى اختلاف في دلالاتها، وهذا الاختلاف واضح في قسم منها، وفي القسم الآخر يحتاج إلى تأمل وإعمال ذهن وصولا إلى ذلك التغاير الدلالي، مثل: الجِنة والجَنة والجُنة، والضَر والضُر، والكُرْه والكَرْه، وحَمْل وحِمْل ... وتكمن أهمية البحث في تثبيت الدلالة لكل مصوت من المصوتات الثلاثة القصيرة، وتحكيم هذه الدلالات على تلك الكلمات المتشابهة في حروفها الصوامت، وصولا إلى فهم واضح ودقيق لتلك الكلمات ومدى انسجامها في سياقها النصي، ثم توجيه القراءات المتعددة في الكلمة الواحدة توجيها معتمدا تلك الدلالات، وهذا يعني أن البحث انطلق من أصغر مكون من مكونات اللغة – أي من الصوت (المصوتات القصيرة) – متجها نحو المستويات الأخرى منتهيا بالسياق، لأن عدم اعتماد دلالات ثابتة للمصوتات يترك الأمر أسير ذائقة القاريء اللغوية، فقام البحث بدراسة مجموعة من الكلمات القرآنية المتشابهة في حروفها الصوامت المختلفة في مصوت من المصوتات القصيرة .

وتناول علماؤنا القدامى هذه الظاهرة تناولا مفصلا، فمنهم من تناولها في كتب المثلثات إن كانت الكلمة مثلثة، مثل محمد بن المستنير قطرب (ت٢٠٦هـ)، وابن السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ)، واعتمدت هذه الكتب المرويات اللغوية وذائقة مؤلفيها حسب فهمهم لكلام العرب في التفريق بين دلالات هذه الكلمات، مثل قولهم في كلمة (ضعف): " الضَّعف بفتح الضاد: في الرأي والعقل، والضُّعف بالضم: في الجسم، وقيل: هما بمعنى

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية / جامعة دهوك/ عقرة .

واحد وهو الصحيح؛ لأن القراء قرؤوا بهما جميعا [1]... وضِعف الشيء بالكسر: زيادة مثله عليه "[2]، والحقيقة إن قراءة القراء بهما جميعا لا يعني أنهما بمعنى واحد؛ لأن الاختلاف في المعنى أحد فوائد تعدد القراءات[3]، ولأن التغيير في المبنى يؤدي حتما إلى تغيير في المعنى، قال ابن جني (ت٣٩٢هـ): " فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني، ثم زيد فيها شيء، أوجبت القسمة له زيادة المعنى به "[4] .

وقد أدرك علماؤنا قيمة المصوتات القصيرة التعبيرية؛ فلم يقصروا الفونيم على الصوامت بل عدو المصوتات القصيرة فونيمات أيضا؛ إذ يمكن أن يكون المصوت القصير مقابلا استبداليا حالها حال الصوامت تتغير دلالة الكلمة بتغير مصوتاتها القصيرة، قال ابن جني (ت٣٩٢هـ) في التفريق بين (الذِّل) بكسر الضاد و(الذُّل) بضم الضاد : " الذِّلّ في الدابة: ضد الصعوبة، والذُّلّ للإنسان، وهو ضد العز، وكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدابة؛ لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدرا مما يحلق الدابة، واختاروا الضمة لقوتها للإنسان، والكسرة لضعفها للدابة"[5] ، ونحن مع الدكتور عبد الكريم مجاهد في عدم اتفاقه مع فيرث؛ إذ قال: " ونختلف مع فيرث في جعله الحركات العربية الفتحة والكسرة والضمة والسكون من قبيل البروسودات prosodies (المظاهر التطريزية) لاتصالها بأكثر من وحدة فونيماتية، وبمعنى آخر أنه جعلها من الملامح الصوتية الثانوية كالنبر والتنغيم أو ما يمكن أن نسميه في التحليل الفونيمي بالفونيمات

---

١ في قوله تعالى: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الروم:٥٤]، قرأ عاصم وحمزة بفتح الضاد، والباقون من السبعة بالضم . ينظر : غيث النفع في القراءات السبع، الشيخ علي النوري بن محمد السفاقسي (ت١١١٨هـ)، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٤م – ١٤٢٥هـ ، ٤٦٧.

٢ المثلث أو الألفاظ المثلثة المختلفة المعنى، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي (ت٧٠٩هـ)، تحقيق: د. يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م ، ٢٨١.

٣ ينظر: القراءات وأثرها في علوم العربية، د.محمد سالم محيسن، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ٤٦/١ .

٤الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠م ، ٢٧١/٣.

٥ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م، ١٨/٢ .

الثانوية secondary phonemes غير التركيبية أي لا تدخل في رأيه في التركيب الصوتي، والحقيقة أنها وحدات صوتية phonological units لها وظيفة معينة في التركيب الصوتي؛ لأنها جزء أساسي منه؛ فهي ليست ظواهر تطريزية وإنما هي فونيمات أساسية أو أولية primary phonemes ودليلنا على ذلك أن الفتحة مثلا يمكن أن تكون مقابلا استبداليا للكسرة والضمة كما في مترجِم ومترجَم، وضَرب وضُرب، وكذلك للسكون في: ضرْب وضرَب، كذلك يمكن أن يختلف لفظها بحسب موقعها من ترقيق إلى تفخيم، ففتحة اللام في لفظة الجلالة (والله) يختلف عنها حينما نقول (بالله) فالفتحة مرة مفخمة ومرة أخرى مرققة "[١] .

ولكن اعتماد علمائنا ضعف المصوت القصير وقوته في الدلالة – المصوت القوي للمعنى القوي، والضعيف للمعنى الضعيف – كما مر بنا في قول ابن جني الذي صار قاعدة سار عليها من جاء بعده أربك معرفة الدلالة الدقيقة لهذه الأصوات .

ولقد أدرك علماؤنا أمر ضعف الأصوات الصوامت وقوتها، وأحسنوا الربط بين أجراسها ودلالاتها كما هو واضح في كلام ابن جني (ت٣٩٢هـ)، إذ قال : " ... فإن كثيرًا من هذه اللغة وجدته مضاهيًا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها؛ ألا تراهم قالوا قضم في اليابس وخضم في الرطب؛ ذلك لقوة القاف وضعف الخاء فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى, والصوت الأضعف للفعل الأضعف "[٢] .

وأدرك علماؤنا المصوتات وتكلموا عليها، فقد ميز الخليل (ت١٧٠هـ) الصوامت من المصوتات الطويلة، إذ قال: " وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف"[٣] .

---

١ الدلالة اللغوية عند العرب، د .عبد الكريم مجاهد، دار الضياء، عمان – الأردن، ١٩٨٥م ، ١٦٦ .

٢ الخصائص ٦٦/١

٣ العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) ، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ٥٧/١ .

واقتفى سيبويه (ت١٨٠هـ) أثر شيخه ففرق بينهما أيضا، وفرق بين المصوتات الطويلة والقصيرة، وعد القصيرة أجزاء من الطويلة [١].

وكذلك عد ابن جني (ت٣٩٢هـ) القصيرة أبعاض الطويلة، ونص على تسمية الضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والفتحة الألف الصغيرة، إذ قال: " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة، والكسرة، والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة "[٢] .

ومما لا شك فيه أنهم عرفوا ما تتميز به المصوتات من جريان الهواء معها بحرية من دون عائق، قال سيبويه (ت١٨٠هـ): " ومخارجها متسعة لهواء الصوت؛ وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها؛ ولا أمد للصوت؛ فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفةٍ ولا لسانٍ ولا حلقٍ كضم غيرها؛ فيهوى الصوت إذا وجد متسعاً حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة "[٣].

وكان مصوت الفتحة الطويلة عندهم أكثرها اتساعا وأشدها جريانا للنفس، قال سيبويه (ت١٨٠هـ): " وإنما خفت الألف هذه الخفة لأنه ليس منها علاج على اللسان والشفة، ولا تحرك أبداً، فإنما هي بمنزلة النفس، فمن ثم لم تثقل ثقل الواو عليهم ولا الياء، لما ذكرت لك من خفة مؤنها "[٤].

---

١ ينظر: الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت١٨٠هـ)، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م . ٥٧٥/٤

٢ سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم – دمشق، ط١، ١٩٨٥م . ٣٣/١

٣ الكتاب ٢٨٩/٤

٤ م . ن ٤٧٩/٤

وبعد هذه الأقوال التي سردناها لعلمائنا عن طبيعة المصوتات الطويلة والقصيرة نستغرب قول الدكتور فوزي حسن الشايب حين عد هولدر أول من تنبه إلى طبيعة المصوتات القصيرة، إذ قال: " فالسمة الأساسية للحركة هي: الجهر وحرية مجرى الهواء، وهذه السمة كانت معروفة قبل دانيال جونز وبلومفيلد بقرون، وأول من تنبه إلى طبيعة الحركة، وإلى سمتها، كان هولدر Holder، وهو أحد لغويي القرن السابع عشر " [١].

وكلام علمائنا على الطويل هو نفسها على القصير؛ لاقتناعهم بأنهما شيء واحد لا يختلفان إلا في الزمن الممتد في نطقهما أي في الطول والقصر، إذ قال سيبويه (ت١٨٠هـ):" لأن الفتحة أخف عليهم من الضمة والكسرة، كما أن الألف أخف عليهم من الياء والواو "[٢] .

وقد أشار الفراء (ت٢٠٧هـ) إلى ثقل الضمة والكسرة وخفة الفتحة، إذ قال: " فإنما يستثقل الضم والكسر لأن لمخرجيهما مؤونة على اللسان والشفتين تنظم الرفعة بِهما؛ فيثقل الضمة ويُمالُ أحد الشِدْقين إلى الكسرة فترى ذلك ثقيلا، والفتحة تخرج من خَرْق الفم بلا كلفة "[٣] .

الفتحة إذاً أخف المصوتات؛ لأن العرب قد يفرون من الضم والكسر إلى السكون ولكنهم لا يفرون من الفتح إليه، بسبب خفة الفتحة لأنها تخرج مع النَفَس بلا علاج، أما الضمة والكسرة فتخرجان بتكلف واستعمال للشفتين[٤].

وتوصلت الدكتورة عبير نواف محمود إلى خطأ تصنيف القدماء لخفة المصوتات وثقلها عن طريق اعتمادها على جهاز الكومبيوتر المحوسب CSL، وأثبتت في دراستها أن الفتحة أقوى الحركات من حيث التردد والضغط والطول الزمني والوضوح السمعي

١ محاضرات في اللسانيات، د. فوزي حسن الشايب، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٩م، ٢١٩ .

٢ الكتاب ٢٨١/٤

٣ معاني القرآن أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر . ١٣/٢

٤ ينظر: اللامات، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت٣٣٧هـ)، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر – دمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م . ٣٥ ، والخصائص ٢٩٣/٢

وتليها الضمة ثم الكسرة[1]، وحقيقة الأمر أنها لم تثبت خطأ القدماء، ولم تختلف معهم أصلا إلا في زاوية النظر؛ فالقدماء تناولوا المصوتات من حيث إنتاجها، ويعنى بهذا الجانب علم الأصوات النطقي، وتناولت الدكتورة المصوتات من الناحية الفيزيائية التي يعنى بها علم الأصوات الأكوستيكي، أي أنها زاوجت بين معيارين مختلفين فتوصلت إلى نتيجة غير صحيحة، ولا مانع يمنع من أن يكون الأقوى فيزيائيا أخف جهدا ومؤونة .

وهذا الكلام لا يعني أن القدماء امتلكوا رؤية واضحة كافية عن هذه الأصوات، فإنهم لم يتمكنوا من التحديد الدقيق لمخارج المصوتات بسبب اتساع مخارجها، فلا يحدث اتصال أو تقارب واضح لأعضاء آلة النطق في أثناء نطقها، وإنما يحدث تغيير في شكل اللسان يصعب تعيين موضعه، وتحديد مقداره بالملاحظة الذاتية [2]؛ فشكا منها العلماء قديماً وحديثاً، فقد قال ابن سينا (ت٤٢٨هـ) :" أمر هذه الثلاثة عليَّ مشكل "[3]، وقال المستشرق الألماني برجشتراسر:" فللحروف الصائتة مخارج مثل مخارج الحروف الصامتة، غير أن تحديدها وتمييزها مشكل " [4] .

واعتمد ابن جني مقياس قوة المصوت وضعفه في تحديد دلالته كما مر بنا عند حديثه عن الـ(ذل) بضم الذال وكسره، وسار من جاء بعده من العلماء والباحثين على نهجه، إذ اعتمد الدكتور خميس فزاع عمير المقياس عينه في تعليل سر الاستبدال الصوتي بين الضمة والكسرة القصيرتين في مفردة (سخريا) التي وردت في القرآن الكريم بضم السين مرة في قوله تعالى: { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } [

١ ينظر: خفة الحركات القصيرة وثقلها بين القدماء وعلم الفيزياء (بحث) مجلة التربية والعلم، مج٢٠، ع٣، ٢٠١٣

٢ ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية ،د.غانم قدوري الحمد ، مطبعة المجمع العلمي ، بغداد، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م . ١٣٩ ، ١٤٠ .

٣ أسباب حدوث الحروف، الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن علي بن عبد الله بن سينا (ت٤٢٨هـ)، تحقيق: محمد حسان طحان ويحيى مير علم، مجمع اللغة العربية، دمشق، د. ت. ٨٥ .

٤ التطور النحوي للغة العربية، أخرجه د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، ٦٢ ؛ وينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية ١٣٩ .

الزخرف:٣٢]، ووردت بكسرها كما في قوله تعالى:{ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ } [المؤمنون:١١٠]، إذ قال: " ولعل الدلالة الصوتية في اختلاف الصائتين له وقع دلالي واضح، فقد بين الكسر امتهان النفس واحتقارها إما بالضحك أو الكلام الناقد اللاذع في حين كان للضم وقع أشد على النفس في تسخير الآخرين نفسيا وجسديا وذلك في تبادل المنافع والحوائج مما يحمل المحتاج على الانقياد باللين للطرف الآخر ليحقق ما يحتاجه "١، فجعل الدكتور – انطلاقا من قول ابن جني – المعنى القوي للمصوت الأقوى (الضمة)، إلا أننا نرى هذا التوجيه غير سليم؛ فليس للضم وقع أشد أبدا؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يرفع بعضنا على بعض لغرض الامتهان النفسي والجسدي، بل لغرض تسييس الأمور وديمومة الحياة؛ فالناس جميعهم مسخِّر غيره ومسخَّر من غيره في الوقت نفسه، كما في قول الشاعر :

الناسُ للناسِ من بدوٍ وحاضرةٍ بعض لبعضٍ وإن لم يشعروا خدمُ ٢

والله تعالى لم يخلق الإنسان ممتهنا بل مكرما كما في قوله تعالى: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) } [الإسراء]، فالإنسان يسخّر نفسه بإرادته لغيره طمعا في الأجر، ولكنه لا يسمح لغيره أن يسْخَر منه، أما السِخرية بكسر السين فهي الاحتقار والاستهانة بالآخرين وقد ارتكبها الضالون، وكانت السُخرية من الله من أجل تدبير حياة العباد، وسنتناوله بالتفصيل في التحليل .

وابن جني نفسه لم يكن مستقرا في حكمه؛ إذ استعمل القوة والضعف مع (الذل) حين قال: " الذِّلِّ في الدابة: ضد الصعوبة، والذُّلِّ للإنسان، وهو ضد العز، وكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدابة؛ لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدرا مما

١ أثر الاستبدال الصوتي في التعبير القرآني ٢٨٣ (بحث)، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مج١٩، العدد(٥)، أيار ٢٠١٢

٢ لم أعثر على قائله

يلحق الدابة، واختاروا الضمة لقوتها للإنسان، والكسرة لضعفها للدابة"١ ؛ لأن الذل يقاس بالقوة والضعف، فإذا رد عليه بأن الدابة خلقت مذللة كما قال الله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢)} [يس]، وأن الإنسان مكرم كما مر بنا، فكيف نجعل الذل القوي له والضعيف للدابة التي خلقت أصلا مذللة للإنسان، فدلالة الضمة على التحديد هي التي تحسم الأمر، وكأن العرب إذا وصفوا الإنسان بالذلة وصفوه بالقليل من الذل، أما الدابة فهي مذلولة للإنسان دائما؛ فناسبت الكسرة الدالة على الامتداد هذا الامتداد في زمن الإذلال، إلا أن ابن جني لجأ إلى الكثرة والقلة حين لم يستقم معه مقياس القوة والضعف في الدقيق والماء، إذ قال:" وقالوا أيضا: جُمامُ المكوك دقيقا وجِمام القدح ماء؛ وذلك لأن الماء لا يصح أن يعلو على رأس القدح كما يعلو الدقيق ونحوه على رأس المكوك؛ فجعلوا الضمة لقوتها فيما يكثر حجمه، والكسرة لضعفها فيما يقل بل يعدم ارتفاعه "٢ .

وللمصوتات القصيرة دور كبير في اللغات بصورة عامة وفي لغة التنزيل بصورة خاصة؛ فإن كان دورها مقتصرا في اللغات الأخرى في البنية الصرفية فقط فإنها تقوم في العربية بالتأثير في البنية الصرفية والنحوية معا، إذ تقوم بتمكين الناطق من إحداث الصوامت، وتمكينه من الانتقال من مخرج حرف صامت إلى مخرج حرف آخر٣، ثم تقوم في النهاية بتوجيه معنى الحرف الصامت؛ فهي التي تبث الروح في جسد الصوامت الساكن الميت؛ إذ لكل حرف صامت دلالة مستقلة خاصة ساكنة، فإذا احتجنا إلى تمديد هذه الدلالة بغض النظر عن مكان الامتداد استعملنا مصوتا قصيرا معينا يفيد هذه الدلالة، وإذا احتجنا إلى دلالة الامتداد مع المكان الممتد فيه استعملنا مصوتا قصيرا آخر يفيد هذه الدلالة، أما إذا احتجنا إلى دلالة الجمع والتحديد في المكان من غير امتداد استعملنا مصوتا قصيرا يدل هذه الدلالة، وإذا أردنا أن نعبر عن معنى الصامت مجردا من دون توجيه سكّنا هذا الصامت وما حركناه .

١ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ١٨/٢

٢ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ١٩/٢

٣ ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، د. عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، ٢٠١٢م، ١٨٠/٢

وهذا الكلام ليس سهلا أن يتقبل في أوساط كثيرة، إذ الخلاف قائم قديما وحديثا عن دلالة الصوامت (الحروف التوامّ) ومعها المصوتات الطويلة، فكيف يُدعى أن للمصوتات القصيرة (الحركات) دلالة وهن أبعاض الحروف (المصوتات الطويلة) التي وصفها الصرفيون بالعليلة ؟!؛ إذ أغلب الفلاسفة واللغويين مع اعتباطية دلالة الأصوات اللغوية قبل تركيبها في كلمات، ولكن ما ذكرنا من دلالات لهذه المصوتات هي ما اطمأن إليها القلب، واقتنع بها العقل، وارتاحت لها النفس، وسنحاول في بحثنا هذا أن نكتشف السر في الدلالات الدقيقة بين بنية صرفية وأخرى متفقتين في الصوامت مختلفتين في مصوت قصير واحد على هذا الأساس القائم على إثبات دلالة لكل مصوت قصير .

والمصوتات متفقة في صفاتها؛ فكلها هوائية، ومجهورة، ولها قوة إسماع عالية، ولكنها تختلف فيما بينها في المخارج ووضع الشفتين في أثناء النطق بها، فعند النطق بالضمة القصيرة يكون مؤخر اللسان معه في أقصى حالة ممكنة من الارتفاع، وتستدير الشفتان مكونتان شكل الدائرة، أما عند النطق بالكسرة القصيرة فيكون وسط اللسان معه في أقصى حالة ممكنة من الارتفاع ولكن من دون احتكاك، وتنفرج الشفتان بشكل أفقي، وأما عند النطق بالفتحة القصيرة فيكون اللسان معه راقدا وممتدا في الفم في وضع يشبه وضع الراحة، وتفتح الشفتان بصورة عمودية ويعبر عنها أحيانا بوضع الحياد [١]، ويبدو ذلك واضحا في الصور التوضيحية الآتية .

الصور التوضيحية التي توضح مخارج المصوتات الطويلة والقصيرة

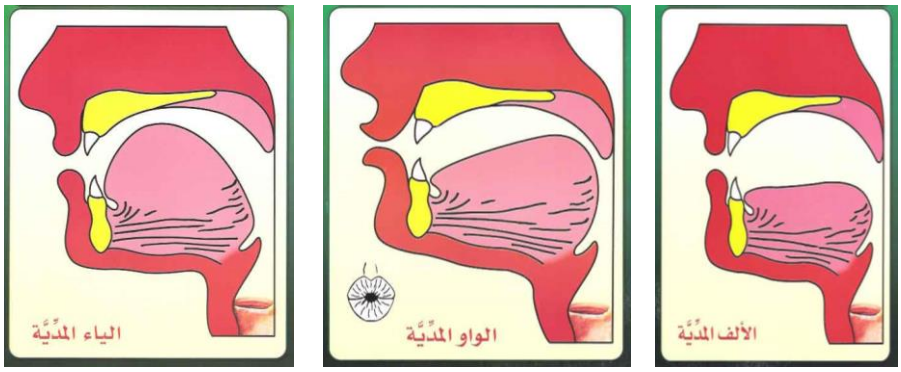

١ ينظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٤ ، ٢٠٠٦م ، ١٥١

فإننا إذا حاولنا أن نستفيد من مخارج هذه الأصوات ومن وضع الشفتين معها وجدنا دلالة لكل مصوت منها؛ إذ نجد مجرى الهواء أضيق ما يكون في مصوت الضمة، والشفتان مستديرتان مشكلتين شكل الدائرة التي تحيط بالشيء، فتكون دلالة الضمة هي الجمع والتحديد؛ ولذا استعملت في جمع الفاعلين وضمهم إلى بعض في جمع المذكر السالم حين الرفع؛ لأن إحداث الفعل يقتضي جهدا يوجب تجمعهم وتوحدهم ليتمكنوا من إنجاز ذلك الفعل، فكأن العربية تعلمنا قوانين العمل والحياة، وهذه الدلالة منسجمة تمام الانسجام مع مخرج هذا المصوت وصفاته، وقد أدرك السُّهيلي (ت٥٨١هـ) هذه العلاقة وربط بين مخرجه ودلالته حين علل استعمال الضمة الطويلة في جمع المذكر السالم إذ قال : "جعلت لهم علامة تختص بهم تنبيء عن الجمع المعنوي كما هي في ذاتها جمع لفظي، وهي (الواو)؛ لأنها ضامّة بين الشفتين أو جامعة لهما، وكل محسوس يُعبر به عن معقول فينبغي أن يكون مشاكلاً له، فما خلق الله تعالى الأجساد في صفاتها المحسوسة إلا مطابقة للأرواح في صفاتها المعقولة، ولا وضع الألفاظ في آدم (عليه السلام) وذريته إلا موازنة للمعاني التي هي أرواحها، فهذا سر (الواو) في اختصاصها بالجمع لمن يعقل، وعلى نحو ذلك خصت بالعطف لأنه جمع في معناه، وبالقسم لأن واوه في معنى واو العطف"(١)، وهكذا ربط السُّهيلي بين المحسوس والمعقول، وبين الأجساد والأرواح، إذ أوجب الانسجام والوئام بينهما، فإن الخالق حكيم خبير؛ لذا كان السهيلي كثيراً ما يشبه الصوت والدلالة (اللفظ والمعنى) بالجسد والروح، وعدَّ الجسدَ (الصوت) تابعاً للروح (الدلالة)، وكل ما يعتري اللفظ من زيادة أو حذف فلأجل المعنى(٢)، وتبع السهيليَ في هذا القول ابنُ قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، إذ قال:" ولما كانت الواو ضمير العاقلين خاصة في (فعلوا) خصوها بجمع العقلاء في نحو: (هم مسلمون وقائمون) ولما كان في الواو من الضم والجمع ما ليس في غيرها خصوها بالدلالة على الجمع دون الألف"[٣]، ونفهم من

١ نتائج الفكر في النحو ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت٥٨١هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ، ٨٣ .

٢ ينظر: م . ن ٧٧ .

٣ بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق : صالح اللحام وخلدون خالد ، الدار العثمانية ، عمان – الأردن ، ودار ابن حزم ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ١٤٣، ١٤٤ .

كلامه أنه ينظر إلى المصوتات الطويلة نظرة دلالية واحدة بغض النظر عن وظيفتها النحوية، فهي عند النحويين علامة إعرابية أو فاعلا، إذ قال في موضع آخر" إن ألف التثنية في الأسماء أصلها ألف الاثنين في (فعلا)، ... فجاءت الألف في التثنية في الأسماء كما كانت في (فعلا) علامة الاثنين، وكذلك الواو في جمع المذكر السالم علامة الجمع نظير واو (فعلوا) "[١]، وكذلك ذهب سعد الدين التفتازاني (ت٧٩١هـ) في حديثه عن أبواب الفعل الثلاثي المجرد، إذ قال: " وإن كان ماضيه على وزن فَعُل مضموم العين فمضارعه يفعُل بضم العين نحو: حَسُن: يَحْسُن وأخواته؛ لأن هذا الباب موضوع للصفات اللازمة فاختير للماضي والمضارع حركة لا تحصل إلا بانضمام الشفتين؛ رعاية للتناسب بين الألفاظ ومعانيها، ويكون لأفعال الطبائع كالحسن، والكرم، والقبح، ونحوها، ولا يكون إلا لازماً "[٢]، ولا نستبعد وجود علاقة مقصودة بين دلالة الضمة الطويلة الآنفة الذكر ورسمها ووضع الشفتين؛ إذ الدائرة التي توحي بالجمع والتحديد ثم نصف القوس الذي يشير إلى المكان .

وإذا نظرنا إلى مخرج مصوت الكسرة رأينا المجرى أوسع بقليل من مجرى مصوت الضمة، والشفتان منفرجتان بشكل أفقي، فتكون دلالته على وفق ذلك هي الامتداد كما امتدت الشفتان عند انفراجهما، أي على النقيض من دلالة الضمة؛ ولذا جاءت في جمع المذكر السالم حالتي النصب والجر؛ إذ الجمع هنا لا يقوم بإحداث الفعل، بل في حالة امتداد لتلقي الحدث أو للإضافة، وقد يكون لرسم الكسرة الطويلة على شكل خط أفقي علاقة بدلالتها وبوضع الشفتين؛ فالشيء إذا أريد لها الامتداد مُدّ على الأرض .

وأما مخرج الفتحة فمجراه متسع من دون تضييق أبدا؛ إذ اللسان راقد في الفم، والشفتان مفتوحتان بشكل عمودي، وتمر الفتحة في طريقها بمخرجي الضمة والكسرة؛ لأنها أدخل منهما، فقد ذكر ذلك ابن جني (ت٣٩٢هـ) في معرض حديثه عن إمالة

---

١ بدائع الفوائد ١٤٣

٢ شرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف، مسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني، شرح وتحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة – مصر، ط٣، ١٤١٧هـ – ١٩٩٥م . ٣٤

الفتحة نحو الضمة والكسرة قائلا:" الفتحة أول الحركات، وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها، والضمة بعد الكسرة، فإذا بدأت بالفتحة، وتصعدت تطلب صدر الفم والشفتين، اجتازت في مرورها بمخرج الياء والواو، فجاز أن تشمها شيئا من الكسرة أو الضمة لتطرقها إياهما، ولو تكلفت أن تشم الكسرة أو الضمة رائحة من الفتحة لاحتجت إلى الرجوع إلى أول الحلق، فكان في ذلك انتقاض عادة الصوت، بتراجعه إلى ورائه، وتركه التقدم إلى صدر الفم، والنفوذ بين الشفتين، فلما كان في إشمام الكسرة أو الضمة رائحة الفتحة، هذا الانقلاب والنقض، ترك ذلك، فلم يتكلف البتة "[1]، وهذا يعني أن الفتحة تستبطن دلالتي الضمة والكسرة معا، أي أنها تجمع وتحدد في المكان ولكنها لا تقف بل تمتد بقدر مد الفتحة؛ فكان اسم الحرف (ألف) ومعناه الانضمام والتآلف، قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): " الهمزة واللام والفاء أصل واحد، يدل على انضمام الشيء إلى الشيء، والأشياء الكثيرة أيضا ... والِفك وأليفك: الذي تألفه، وكل شيء ضممت بعضه إلى بعض فقد ألفته تأليفا "[2]، فالألف المكونة من فتحتين تقوم بالتأليف بين التحديد والامتداد .

تكون دلالة الفتحة على حسب ما مر بنا أوسع مكانيا من مصوت الضمة، ومساحتها أكبر من مساحة الكسرة التي تمتد امتدادا أفقيا طوليا بغض النظر عن المساحة العرضية، وقد أشار إلى ذلك ابن جني، إذ قال: " وقوله: فـ(فَعِيل، وفُعَال) أختان في باب (فعُلت) هما لعمري كذلك، إلا أن فعيلا هو الأصل, وإنما يُخرَج به إلى فُعَال إذا أريد المبالغة (وطُوَال وعُرَاض) أشد مبالغة من (طويل, وعريض) و(فَعِيل وفُعَال) كلاهما من أبنية المبالغة، فإذا أرادوا الزيادة في المبالغة ضعّفوا العين فقالوا: (كُرّام، وحسّان، ووضّاء) وهم يريدون: كريما، وحسنا، ووضيئا "[3] .

---

١ ينظر: سر صناعة الإعراب ٦٨/١

٢ مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ١٣١/١.

٣ المنصف ، ابن جني، شرح لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني البصري (ت٢٤٧هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .٢٤٠ ، وينظر: معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي ، جامعة الكويت ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ط١ ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م . ٢٨ .

ولدينا أمثلة كثيرة في العربية تثبت هذه الدلالات للمصوتات، فمثلا: (الصيت) للذكر الجميل المنتشر بين الناس، و(الصوت) لهذه الحالة الفيزيائية المحدودة بين أناس محدودين، و(الرِّيح) للهواء الهابّ الممتد، و(الرُّوح) لما تحدد في الجسد، و(القيل) للقول الممتد أو المتكرر، و(القول) للقول المحدود أو غير المتكرر[١]، ويذكر ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) فعلين مضارعين للفعل الماضي (طاف) متناسقين مع دلالتهما على وفق ما ذكرنا، إذ قال: "طافَ حول الشيء يَطُوف طَوْفاً وطَوَافاً، وطاف الخيال يَطيفُ طَيْفاً"[٢]، فإنه حين حدد الفعل بـ(حول) جعل مضارعه (يطوف) ومصدره (طوف وطواف) بالواو شبه الصائت، وحين أسند الفعل إلى الخيال الواسع المنتشر الذي لا يتحدد في مكان جعل مضارعه (يطيف) ومصدره (طيف) بالياء شبه الصائت، وكما في (السير) الممتد، وحين حدد صار (السور) الذي يحيط بالمدينة مثلاً، وفي (البين) التي استعملت للبعد والفراق الممتد إذ انتقلت إلى (البون) حين أريدت للمسافة المحددة بين شيئين، وكلمات أخرى كثيرة في العربية كالغيث والغوث، والطير والطور، والبليغ والبلوغ[٣]، ولا نظن أن هذه الهندسة العجيبة للعربية قائمة على الاعتباط .

والآن نحاول تحليل الكلمات المتشابهة في الصوامت المختلفة في مصوت من المصوتات القصيرة، رتبناها حسب الحروف الهجائية :

بَعُدت، وبَعِدت

وردت (بعد) ومشتقاتها في خمسة وثلاثين ومئتي موضع في القرآن الكريم[٤]، ولها أصلان عند ابن فارس (ت٣٩٥هـ) إذ قال: " الباءُ والعَينُ والدالُ أَصلان: خلافُ القُربِ، ومقَابل قَبلَ، قَالوا: البُعْدُ خلافُ القُرب، والبُعْدُ والبَعَدُ الهَلاكُ، وَقَالوا في قَوله تعالى: {كَمَا

١ ينظر: سر صناعة الإعراب ٢٥/١

٢ أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، ٣٤٢ .

٣ ينظر: بناء الثلاثي وأحرف المد ، د. إبراهيم السامرائي ٩٨ ، ٩٩ (بحث) ، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج ٢٤، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م .

٤ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي (١٣٨٨هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م،١٥٣ .

بَعِدَتْ ثَمُودُ} [هود: ٩٥]، أَي: هلَكَتْ، وقياسُ ذَلكَ واحدٌ، والأباعدُ خلافُ الْأَقَارِبِ "[١]، واستعملها القرآن كذلك كما ذكر الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) إذ قال: " البعد ضد القرب وليس لهما حد محدود وإنما ذلك بحسب اعتبار المكان بغيره يقال ذلك في المحسوس وهو الأكثر وفى المعقول نحو قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: ١٦٧] ... وبعِد: مات، والبُعد أكثر ما يقال في الهلاك نحو:{ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ } [هود: ٩٥] "[٢].

واستعمل النظم القرآني الفعل (بعدَ) منها بضم العين مرة، وبكسرها مرة أخرى، وكان استعمال الفعل (بَعُدَ) بضم العين في سياق الحديث عن المنافقين الذين يتبعون النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوات القريبة السهلة؛ طمعا في الغنائم، أما هنا حيث غزوة تبوك ذات المسافة الطويلة، وملاقاة جيش كبير كجيش الروم، فإن المنافقين يتقاعسون يتعللون بعلل واهية[٣]، إذ قال تعالى: {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}[التوبة:٤٢]، والضمة قامت بتحديد القرب وجمعه بالشقة، فالشقة لازمَها البعدُ واتصفت به فكل شقة هي بعيدة عنهم وهم بعيدون عنها، أي أنهم لا يقتربون إلا من السهل، كما نقول: (كرُم الرجل) – بضم الراء – أي صار الكرم صفة ملازمة لهذا الرجل، وهو المعنى الذي تحدث عنه سعد الدين التفتازاني (ت٧٩١هـ) في حديثه عن أبواب الفعل الثلاثي المجرد، إذ قال: " وإن كان ماضيه على وزن فَعُل مضموم العين فمضارعه يفعُل بضم العين نحو: حَسُن: يَحْسُن وأخواته؛ لأن هذا الباب موضوع للصفات اللازمة فاختير للماضي والمضارع حركة لا تحصل إلا بانضمام الشفتين؛ رعاية للتناسب بين الألفاظ ومعانيها، ويكون لأفعال الطبائع كالحسن، والكرم،

---

١ مقاييس اللغة ٢٦٨/١

٢ مفردات غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط١– ١٤١٢ هـ ، ٥٣

٣ ينظر: التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر ابن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس،١٩٨٤ هـ ، ١٠٥/١٠

والقبح، ونحوها، ولا يكون إلا لازماً"[١]، وتعدى الفعل (بعُد) هنا بـ(على) الدالة على الاستعلاء إيحاء بأن الشقة الموصوفة بالبعد قد جللت أولئك المنافقين وغطتهم من فوق رأسهم إلى أسفل قدميهم .

أما (بَعِدَ) فقد استعملها القرآن الكريم في قصة ثمود، ومعلوم أن الله عاقب قومي مدين وثمود بعقوبة واحدة هي الصيحة، إذ قال تعالى: { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [العنكبوت:٣٧]، وقال تعالى في أهل مدين: (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ)[هود:٩٥]، والكسرة تدل على الامتداد، فهي تقوم بتمديد البُعد، أي تضفي على البعد بعدا آخر وآخر، وهو بعد من الله تعالى وعنه؛ فيكون بعدا قلبيا قبل أن يكون بعدا قالبيا، وهو الموت بكل أشكاله، ولذلك قال الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ): " والبعِد أكثر ما يقال في الهلاك نحو: { بَعِدَتْ ثَمُودُ }"[٢]، وقال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) : " وَالأكثرُ أَن يُقال (بَعِدَ) بكسرِ العين في البُعدِ المجازِي بمعنى الهَلاك والموت، و (بعُد) المضمومُ العين في البُعدِ الحقيقي "[٣] .

جُنّة وجَنّة وجِنّة

وردت مفردة (جنة) ومشتقاتها في ثلاثة ومئتي موضع في القرآن الكريم[٤]، ومعناها الستر كما ذكر ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، إذ قال: " الجيم والنون أصل واحد، وهو الستر والتستر، فالجَنة ما يصير إليه المسلمون في الآخرة، وهو ثواب مستور عنهم اليوم، والجَنة البستان، وهو ذاك لأن الشجر بورقه يستر ... والجنينُ: الولد في بطن أمه، والجنين: المقبور، والجَنان: القلب، والمِجَن: التُرس، وكل ما استتر به من السلاح فهو جُنة، قال أبو عبيدة: السلاح ما قوتل به، والجُنة ما اتُقي به ... والجِنة: الجنون; وذلك

١ شرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف ٣٤

٢ مفردات غريب القرآن ١٣٣

٣ التحرير والتنوير ٧٩/١٢

٤ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٢٢٠

أنه يغطي العقل " [1]، ولذلك لم يرد في العربية: جن عليه النهار؛ لأن النهار لا يستر بل الليل .

وهو المعنى الذي ورد في القرآن أيضا، قال الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ): " أصل الجن ستر الشيء عن الحاسة، يقال جنه الليل وأجنه وجن عليه فجنه ستره وأجنه جعل له ما يجنه كقولك قبرته وأقبرته وسقيته وأسقيته، وجن عليه كذا ستر عليه قال عز وجل: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ}[الأنعام:٧٦] ... والجَنان القلب لكونه مستورا عن الحاسة والمجن والمجنة الترس الذي يجن صاحبه، قال عز وجل: { اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ } [المجادلة:١٦]، وفي الحديث: " الصوم جنة "[2]، والجنة كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض، قال عز وجل: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ } [سبأ:١٥] ... وسميت الجنةُ إما تشبيها بالجنة في الأرض وإن كان بينهما بون، وإما لستره نعمها عنا المشار إليها بقوله تعالى: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [السجدة:١٧] ... والجنين الولد مادام في بطن أمه وجمعه أجنة، قال تعالى: { وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ } [النجم:٣٢] ... والجِنة جماعة الجن قال تعالى: {مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} [الناس:٦] ... والجِنة الجنون وقال تعالى: {مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ} [سبأ:٤٦] أي جنون والجنون حائل بين النفس والعقل " [3] .

ودلالات المصوتات هي التي نوعت دلالة المفردة؛ إذ الصوامت هي هي في ثلاثتهن، فحين أردنا أن نحدد الستر ونحصره في جسم محدود استعملنا مصوت الضمة القصيرة؛ فصارت (جُنة) التي تدل على ما يستتر به، وإذا أردنا أن نوسع مساحة الستر أكثر استعملنا مصوت الفتحة القصيرة فقلنا (جَنة) التي دلت على المساحة التي تغطى بالأشجار، وإذا أردنا أن نوسع مساحة الستر أكثر استعملنا مصوت الكسرة الدالة على

---

١ مقاييس اللغة ٤٢١/١

٢ مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢ ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م، رقم الحديث (٨٠٥٩) ٤٢٢/١٣

٣ مفردات غريب القرآن ٩٨

الامتداد فدلت على هذا المخلوق المنتشر على الأرض؛ وعدم رؤيتنا لهذا المخلوق يجعلنا نتوقع وجودهم في كل مكان .

حُب وحَب :

وردت مفردة (حب) ومشتقاتها في القرآن الكريم في ستة وتسعين موضعا، في ثلاثة عشر موضعا منها بفتح الحاء، والمواضع الأخرى بضم الحاء[١]، ومعناها كما قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): " الحَب، معروف من الحنطة والشعير. فأما الحِب بالكسر فبزور الرياحين، الواحد حبة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوم: «يخرجون من النار فينبتون كما تنبت الحِبة في حميل السيل»[٢]، قال بعض أهل العلم: كل شيء له حَب فاسم فاسم الحَب منه الحَبة، فأما الحنطة والشعير فحَب لا غير، ومن هذا الباب حَبة القلب: سويداؤه، ويقال ثمرته ... وأما اللزوم فالحُب والمحبة، اشتقاقه من أحبه إذا لزمه "[٣] .

ولم يخرج الاستعمال القرآني عن هذه المعاني التي ذكرها ابن فارس (ت٣٩٥هـ)[٤] ،فقد قال تعالى: { فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ } [ص:٣٢]، وقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [الأنعام:٩٥] .

وتقوم الضمة في الـ(حُب) بجمع هذا العامل العاطفي الذي يجعل المحب يميل إلى الآخرين ويودهم، فيزرعه في قلوب المحبين ثم يقوم بجمع المحبوبين، فالحب حالة شعورية داخلية فجاءت الضمة لتحدده وتحتفظ بها داخل القلب، وهو المعنى الذي عبر عنه ابن فارس (ت٣٩٥هـ) باللزوم حين قال: " وأما اللزوم فالحُب والمحبة، اشتقاقه من أحبه إذا لزمه "[٥] ؛ ولذلك سمي حُب الماء حبا لأنه يجمع الماء ويحتفظ به في داخله .

---

١ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٢٣٤

٢ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،ط١، ١٤٢٢هـ، (باب فضل السجود) ١٦٠/١

٣ مقاييس اللغة ٢٦/٢

٤ ينظر: مفردات غريب القران ١٠٥

٥ مقاييس اللغة ٢٦/٢

وتقوم الفتحة في الـ(حَب) بتوسيع المساحة المكانية؛ حتى تسمح بتفريقها في الأرض وزراعتها .

وإذا أردنا الإكثار منهما حركنا الحاء بالكسرة الدالة على الامتداد فقلنا (الحِب)؛ للدلالة على الحب الكبير للمحبوب، كما في حب النبي صلى الله عليه وسلم لأسامة بن زيد رضي الله عنه الكبير حتى وصف بـ(حِب) رسول الله صلى الله عليه وسلم [١]، وللدلالة على الـ(حَب) الكثير أيضا، كما دلت على حبات الرياحين الكثيرة الصغيرة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «يخرجون من النار فينبتون كما تنبت الحِبة في حميل السيل»[٢]، الذي شرحه النووي (ت ٦٧٦ هـ) بقوله: " وَأَمَّا الْحِبَّةُ فَبِكَسْرِ الْحَاءِ وَهِيَ بِزْرُ الْبُقُولِ وَالْعُشْبُ تَنْبُتُ فِي الْبَرَارِي وَجَوَانِبِ السُّيُولِ "[٣] .

يحسَب ويحسِب :

وردت (حسب) ومشتقاتها في تسعة ومئة موضع في القرآن الكريم[٤]، ومعناها العدّ والظن كما ذكر ابن فارس (ت٣٩٥هـ) إذ قال: " حَسَبْتُ الشيءَ أَحْسُبُهُ حَسْبًا وَحُسْبَانًا، قَال الله تعالى: {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} [الرحمن: ٥]، ومن قياس الباب الْحِسْبَانُ الظَّنُّ، وذلك أَنَّه فرَّقَ بَينهُ وبينَ الْعَدِّ بِتغييرِ الحركةِ والتصريفِ، والمعنى واحدٌ، لأَنَّه إِذا قَال حَسِبْتُهُ كذا فكأَنَّه قال: هو في الذي أَعُدُّهُ من الْأُمورِ الكائنةِ "[٥].

ولم يختلف معناها في الاستعمال القرآني عما ذكره ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، فقد ذكر الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) المعنيين، إذ قال: " والحسبة فعل ما يحتسب به عند الله تعالى:{ الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}[العنكبوت:٢]، { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}[العنكبوت:٤]، {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}[إبراهيم:٤٢]، {فَلَا

١ ينظر: الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري)، (باب حديث الغار) ١٧٥/٤

٢ الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري)، (باب فضل السجود) ١٦٠/١

٣ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ (باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى) ٢٣/٣

٤ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٢٤٥

٥ مقاييس اللغة ٥٩/٢

تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}[إبراهيم:٤٧]، {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}[آل عمران:١٤٢]، فكل ذلك مصدره الحُسبان والحِسبان، أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله فيحسبه ويعقد عليه الإصبع، ويكون بعرض أن يعتريه فيه شك، ويقارب ذلك الظن لكن الظن أن يخطر النقيضين بباله فيغلب أحدهما على الآخر " [١].

وقد ذكر أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) هذه المغايرة في الدلالة بسبب اختلاف المصوتين القصيرين، إذ قال: " وَفرق بَين الْفِعْل مِنْهُمَا فَيُقَال فِي الظَّن حسِب وَفِي الْحساب حسَب وَلذَلِك فرق بَين المصدرين فَقيل حسب وحسبان وَالصَّحِيح فِي الظَّن مَا ذَكرْنَاهُ "[٢]، وكذلك ابن القَطَّاع الصقلي (ت٥١٥هـ)، إذ قال: " (حَسَبت) الشيء حَسْباً وحِسبةً وحِسابةً وحِساباً وحُساناً: عددته، و(حَسِبته) حِساناً: ظننته "[٣]، وحمد بن مُحَمَّد الرائقي الصعيدي الْمَالِكِي (ت نحو ١٢٥٠هـ)، إذ قال: "حَسِبَ: بِمَعْنى ظنّ يُقَال حَسِبَهُ يَحْسِبَهُ بِالْفَتْح على الْقيَاس وبالكسر على الشذوذ مَعَ أَنه أفْصح لِأَنَّهُ لُغَة الْحِجَازِيِّينَ، وبهما قُرِئَ فِي السَّبع "[٤].

وإذا عدنا إلى دلالة مصوتي الفتحة والكسرة القصيرتين تبين لنا سبب هذا التغاير بين معنيي (حسَب: يحسَب) و (حسِب: يحسِب)، إذ الامتداد الموجود في الكسرة أعطى امتدادا للحدث ليكون ظنا ممتدا امتداد الخيال، أما الفتحة فقد حددت المكان الذي يمتد فيه الحدث؛ فكان العد والحساب للشيء المعدود، ويمكن أن توجه قراءتا الفتح والكسر بمراعاة نفوس أولئك الذين يحسبون؛ فإنهم أحيانا يظنون وأحيانا يعدون الأمر عدا من غير ظن، للدلالة على انعدام اليقين عندهم في تلك المسائل؛ إذ لا تناقض بين القراءات القرآنية الصحيحة، بل تكمل إحداها الأخرى، وقد ذكر أبو جعفر النَّحَّاس (ت٣٣٨هـ)

---

١ مفردات ألفاظ القرآن ٢٣٤

٢ الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ٩٩

٣ الأفعال، أبو القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع الصقلي (ت٥١٥هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م ، ٢١٥

٤ فتح المتعال على القصيدة المسماة بلامية الأفعال، حمد بن مُحَمَّد الرائقي الصعيدي الْمَالِكِي (ت نحو ١٢٥٠هـ)، تحقيق: إبراهيم بن سليمان النعيمي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤١٧هـ – ١٤١٨هـ، ١٨٨

قراءتي فتح السين وكسرها في قوله تعالى: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ}[النمل:٨٨]، إذ قال : " وأهل الكوفة يقرؤون تَحْسَبُها وهو القياس لأنه من حسب يحسب إلّا أنه قد روي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم خلافها أنه قرأ بالكسر في المستقبل فيكون على فعل يفعل، كما قالوا نعم ينعم ويئس ييئس، وحكى بئس يبئس من السالم، لا يعرف في كلام العرب غير هذه الأحرف "[1]، ويمكن توجيه القراءتين بمراعاة نفوس المخاطبين ومراعاة مرور الجبال، فقد يظن (يحسِب) الرائي جمود الجمال في حال بعدها عنه، أما حين تقترب منه فإنه يعدها (يحسَبها) جامدة، وكذلك يقال في قوله تعالى : { لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ }[البقرة:٢٧٣]، فقد قريء بالفتح والكسر[2] والمعنيان حسب حال الفقير وحال الجاهل.

الحَر والحُر:

وردت مفردة (حر) ومشتقاتها في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعا [3]، كما في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[البقرة: ١٧٨]، وفي قوله تعالى: { فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ }[التوبة:٨١] .

ومعناها كما قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): " الحاء والراءُ فِي الْمُضَاعَفِ لَهُ أَصْلَانِ: فالأول ما خالف العبودية وبرئَ من العيب وَالنقص ... والثاني: خلاف البرد،

---

١ إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م ١٥٣/٣، قرأ الشامي وعاصم وحمزة بفتح السين، والباقون بكسر السين، ينظر: غيث النفع في القراءات السبع، السفاقسي(ت ١١١٨هـ)، ٤٥٠ .

٢ قَرَأَ ابْن عَامر وَعَاصِم وَحَمْزَة {يَحْسَبهُم} بِفَتْح السِّين، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْكَسْرِ، وهما لُغَتَانِ، حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة ابن زنجلة (ت حوالي ٤٠٣هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة ، ١٤٨

٣ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٢٤١

يقال هذا يوم ذُو حَرٍّ، وَيَوْمٌ حَارٌّ "[١]، فهذه الحالة الحارة إذا امتد في المكان والزمان امتدادا محدودا جاءت الفتحة الدالة على هذا النوع من الامتداد، فكانت الحرارة التي تنتشر، والراء المشددة التي تدل على تكرار هذه الحالة؛ لأن الراء صوت تكراري؛ فيؤدي إلى تعاظم هذه الحالة في مكانه، أما إذا أردنا حصر هذه الحالة في المكان من دون امتداد فإننا نبدل الضمة بالفتحة؛ فتنشأ عندنا كلمة (حُر) التي تعني أنه جمع الحَر في جسده فيأبى حينئذ العبودية، ثم زحفت دلالة الحرية إلى البريء من العيوب والنقص؛ لأن الإنسان الحُر كذلك أو ينبغي أن يكون كذلك .

وهذه الدلالة باقية في المفردات الأخرى التي تبتدئ بهذين الصامتين، فإن العربية ألحقتهما بصامت الباء الانفجاري فكونت معهما (حرب) إذا أرادت أن تعبر عن هذه الحالة المتعاظمة المتكررة القاسية التي تعبر عنها انفجارية الباء، فكأن المفردة تصور لنا بجرس حروفها صورة الحرب، وألحقتهما بصامت الثاء المهموس الرخو فكونت معهما (حرث)؛ فالثاء كما قال ابن جني – عند حديثه عن دلالة (بحث) : " الثاء للنفث، والبث للتراب " [٢]، وكذلك الـ(حرق)، والـ(حرص) .

تحِل وتحُل :

وردت (حلّ) ومشتقاتها في واحد وخمسين موضعا في القرآن الكريم [٣]، وأصل معناها فتح الشيء كما قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ):" الحاء واللام له فروع كثيرة ومسائل، وأصلها كلها عندي فتح الشيء، لا يشِذ عنه شيء، يقال حللت العقدة أحلها حلا، ويقول العرب:(يا عاقد اذكر حلا)، والحلال: ضد الحرام، وهو من الأصل الذي ذكرناه، كأنه من حللت الشيء، إذا أبحته وأوسعته لأمر فيه، وحل: نزل، وهو من هذا الباب لأن المسافر يشد ويعقد، فإذا نزل حل; يقال حللت بالقوم، وحليل المرأة: بعلها; وحليلة المرء: زوجه، وسميا بذلك لأن كل واحد منهما يحُل عند صاحبه "[٤].

---

١ مقاييس اللغة ٦/٢

٢ الخصائص ١٦٥/٢

٣ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٢٦٤

٤ مقاييس اللغة ٢٠/٢

ولم يختلف الاستعمال القرآني لهذه الكلمة عن هذه المعاني التي ذكرها ابن فارس (ت٣٩٥هـ) [١]، وقد ورد الفعل (حلّ) في القرآن الكريم في تلك المواضع كلها بكسر الحاء، كما في قوله تعالى: { فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ... } [البقرة:٢٣٠]، إلا في موضع واحد ورد بضم الحاء في قوله تعالى: {وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ } [الرعد:٣١]، وقريء (فيحل) بكسر الحاء وضمه، و(يحلل) بكسر اللام وضمه، في قوله تعالى: { كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى } [طه:٨١]، فقال الفراء(ت٢٠٧هـ): " وقوله: {فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي} [طه:٨١] الكسرُ فِيهِ أحبّ إليّ من الضم لأن الحلول ما وقع من يَحُلّ، ويَحِلُ: يجب، وجاء التفسير بالوجوب لا بالوقوع، وكل صواب "[٢] ، وقال ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ): " وَاخْتلفُوا في قَوْله {فَيحل عَلَيْكُم غَضَبي وَمن يحلل عَلَيْهِ} [طه:٨١]، فَقَرَأَ الكسائي وَحده {فَيحُل عَلَيْكُم} بِضَم الْحَاء، {وَمن يحلُل} بِضَم اللَّام، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {فَيحِل} {وَمن يحلِل} بِكَسْر الْحَاء وَاللَّام، وَلم يَخْتَلِفُوا في كسر الْحَاء من قَوْله {أَن يحِل عَلَيْكُم}[طه: ٨٦] "[٣]، وقال الأزهري: " قرأ الكسائي وحده (فَيَحُلَّ عليكُم غَضبي ومَن يَحْلُلْ) بضم الحاء واللام الأول من (يَحلُلْ) وقرأ الباقون بكسر الحاء واللام، وقال الأزهري (ت ٣٧٠هـ): مَنْ قَرَأَ (فَيَحُل) و (يَحْلُل) فهو من الحُلُول، وهو: النزول، وَمَنْ قَرَأَ (فَيَحِل) و(يَحْلِل) فهو بمعنى: يَجبُ "[٤]، وأشار الجوهري (ت٣٩٣هـ) إلى الفرق بينهما إذ قال : "

---

١ ينظر: مفردات غريب القرآن ١٢٨/١

٢ معاني القرآن ١٨٨/٢

٣ السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ ،٤٢٢ .

٤ معاني القراءات، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م، ١٥٦/٢ وينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ٣/ ٧٩ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان، ط١، ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م ٥٦/٤ .

وحَلَّ العذابُ يَحِلُّ بالكسر، أي وَجب، ويَحُلّ بالضم، أي نزل، وقرئ بهما قوله تعالى: {فَيَحِلَّ عليكم غَضَبِي}[طه:٨١]، وأمَّا قوله تعالى: {أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ}[الرعد:٣١] فبالضم، أي تنزِل، وحَلَّ الدَيْنُ يَحِلُّ حُلولاً "[١]. وجمع البقاعي (ت ٨٨٥هـ) بين القراءتين؛ فقال: "{فيحل} أي ينزل ويجب في حينه الذي هو أولى الأوقات به – على قراءة الجماعة بالكسر، ونزولاً عظيماً وبروكاً شديداً – على قراءة الكسائي بالضم "[٢]، أي أن قراءة الكسر تعني المرحلة الأولى وهي وجوب وقوع الغضب، وقراءة الضم تعني المرحلة الثانية وهي وقوع ذلك الواجب، فالقراءتان تكمل إحداهما الأخرى، وقال الكفوي (ت١٠٩٤هـ): " حل بمعنى نزل، في مضارعه الضم، فيجوز في اسم المكان منه الكسر والفتح، وحل بمعنى وجب، في مضارعه الكسر، وقرئ بهما {فيحل عليكم غضبي}، وأما: { أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا } فبالضم بمعنى تنزل، وحل بمعنى بلغ، مضارعه بالكسر فقط، كذا اسم المكان منه، والحل: بالكسر: مصدر حل يحل بالكسر في المضارع، وكذا الحلال، والحل: بالفتح: مصدر (حل) بالمكان (تحل) بالضم، وكذا الحلول "[٣] .

ووافقهم ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) مرة في ذلك، إذ قال: " وَتَحُلُّ: بضم الحاءِ مضارعُ حَلَّ اللَّازمِ، وقد التُزِمَ فيه الضَّمُّ "[٤]، ولكنه شكك في المسألة في موضع آخر؛ لأنه لم يقف لهم على شاهد فيها، إذ قال: " والحلول: النزول والإقامة بالمكان؛ شبهت إصابة آثار الغضب إياهم بحلول الجيش ونحوه بديار قوم، وقرأ الجمهور {فيحِلّ عليكم} بكسر الحاء وقرأوا {ومن يحلِل عليه غضبي} بكسر اللاّم الأولى على أنهما فعلا حَلّ الدَّين، يقال: حلّ الديْن إذا آن أجل أدائه، وقرأه الكسائي بالضمّ في الفعلين على أنّه من حلّ بالمكان يحُلّ إذا نزل به، كذا في الكشاف، ولم يتعقبوه ... ووقع في (المصباح) ما يخالفه

---

١ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، ١٦٧٤/٤

٢ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م ٣٢٠/١٢

٣ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش،ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ٣٨٩/١

٤ التحرير والتنوير ١٤٧/١٣

ولا يعوّل عليه[1]، وظاهر (القاموس) أن حلّ بمعنى نزل يستعمل قاصراً ومتعدياً[2]، ولم أقف لهم على شاهد في ذلك" [3] .

ولو عدنا إلى دلالة المصوتين حيث الضمة الدالة على التحديد والجمع، والكسرة الدالة على الامتداد استطعنا أن نقول إن (تحُل) بالضم يعني أن فعل الحل الدال على الفتح يقوم بتحديد المكان المراد ثم يجمع فاعله بالمكان، وإذا رجعنا إلى قوله تعالى: { ... وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ } [الرعد:٣١]، ووجهنا الفعل (تحُل) قلنا إن الضمة حددت المكان وهو (قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ) ثم جمعت الفاعل بالمكان سواء كان ضمير الفاعل عائدا إلى القارعة أم إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فنكون بذلك مع القائلين بمعنى النزول .

ونقول في قراءة الكسر في (تحِل): إن الكسرة فيه مددت فعل الحل للدلالة على أن حدث الحل فيه ممتد لم يجتمع بمكان؛ فدل على سريانه وجوازه؛ فهذه القراءة جوزت القارعة، والقراءة بالضم أوقعته قريبا من دارهم؛ لأن الضمة تحدد وتجمع .

حَمل وحِمل:

وردت مفردة (حمل) ومشتقاتها في القرآن الكريم في أربعة وستين موضعا[4]، ومعنى الحمل إقلال الشيء كما ذكر ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، إذ قال: " الحاء والميم واللام أصل واحد يدل على إقلال الشيء، يقال حملت الشيء أحمله حملا، والحَمل: ما

١ ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، ١٤٧/١

٢ ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، ٩٨٦ .

٣ التحرير والتنوير ٢٧٦/١٦

٤ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٢٦٨

كان في بطن أو على رأس شجر "[١] ، وقد فرق بينهما الخليل (ت١٧٠هـ) إذ قال: " والحَمْل: ما في البَطْن، والحِمْل ما على الظَّهْر "[٢] .

وأشار الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) إلى تغاير معاني مصادرها المختلفة في الاستعمال القرآني مستفيدا من قول الخليل، إذ قال: " الحمل معنى واحد اعتبر في أشياء كثيرة فسوى بين لفظه في فَعَلَ وفرق بين كثير منها في مصادرها فقيل في الأثقال المحمولة في الظاهر كالشيء المحمول على الظهر حِمْلٌ، وفي الأثقال المحمولة في الباطن حَمْلٌ كالولد في البطن والماء في السحاب والثمرة في الشجرة تشبيها بحَمْل المرأة ... والأصل في ذلك الحِمْلُ على الظهر "[٣]، ولكنه لم يذكر سبب ذلك التغاير الدلالي في المصادر، أما القول بأصالة صيغة من صيغ المفردة، وفرعية الصيغ الأخرى فإنه قول لا يتوافق مع واقع العربية ودقتها، ونرى أصالة الصيغ جميعها، وكل صيغة تتناسب مع المعنى الدقيق المراد في سياقه .

وإذا عدنا إلى دلالة المصوتين لبدا الأمر واضحا؛ حيث الكسرة الدالة على الامتداد؛ فكانت مع الأحمال التي تحمل في مكان مفتوح قابل للاتساع والامتداد كالحِمل على الظهر، كما في قوله تعالى: { قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ }[يوسف:٧٢]، حيث الفتحة الدالة على الاتساع الوسط بين محدودية الضمة وامتداد الكسرة، فجاءت الفتحة مع حَمل الأم جنينها، إذ المكان محدود ولكنه ليس كمحدودية الضمة، كما في قوله تعالى: { يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ } [الحج:٢]، وهو ما توصل إليه الخليل(ت١٧٠هـ) والراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) بحسهما اللغوي المرهف من خلال الاستعمال القرآني حين عدا الفتحة مع مصادر الحمل لحمل الجنين والكسرة للحمل على الظهر .

---

١ مقاييس اللغة ١٠٦/٢

٢ العين ٢٤١/٣

٣ مفردات غريب القران ١٣١

دَين ودِين :

وردت (دين) ومشتقاتها في واحد ومئة موضع في القرآن الكريم[1]، فاستعمل النظم القرآني (دَين) بفتح الدال أحيانا كما في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ .... } [البقرة:٢٨٢]، واستعملها (دِين) بكسر الدال أحيانا أخرى كما في قوله تعالى:{أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [آل عمران:٨٣] .

ومعناها الانقياد عند ابن فارس (ت٣٩٥هـ) إذ قال :" الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها، وهو جنس من الانقياد، والذل، فالدين: الطاعة، يقال دان له يدين دينا، إذا أصحب وانقاد وطاع، وقومٌ دِينٌ، أي مطيعون منقادون... والمدينة كأنها مفعلة، سميت بذلك لأنها تقام فيها طاعة ذوي الأمر، والمدينة: الأمة، والعبد مدين، كأنهما أذلهما العمل ... فأما قوله جل ثناؤه: {ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك} [يوسف: ٧٦] ، فيقال: في طاعته، ويقال في حكمه، ومنه: {مالك يوم الدين} [الفاتحة: ٤]، أي يوم الحكم، وقال قوم: الحساب والجزاء، وأي ذلك كان فهو أمر ينقاد له ... ومن هذا الباب الدّين، يقال داينت فلانا، إذا عاملته دينا، إما أخذا وإما إعطاء ... والدين من قياس الباب المطرد، لأن فيه كل الذُّل والذِّل "[2] .

وكذلك استعملها النظم القرآني، قال الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ): " يقال دنت الرجل أخذت منه دينا وأدنته جعلته دائنا وذلك بأن تعطيه دينا...وأدنت مثل دنت، وأدنت أي أقرضت، والتداين والمداينة دفع الدين، قال تعالى: { إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى } [البقرة :٢٨٢] ... والدِين يقال للطاعة والجزاء واستعير للشريعة "[3] .

وسواء كان الدِين انقيادا وطاعة أم حكما وشريعة أم حسابا وجزاء؛ فكلها تعود إلى معنى الشريعة؛ ولذلك سميت يثربُ مدينةً بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها حيث صارت مكانا للشريعة التي ينقاد لها الناس ويطيعونها ثم يُجازون على الالتزام بها ثوابا أو عقابا، فإن كسرة الدال فيها تدل على أن هذه الحالة ممتدة تشمل مساحة واسعة

١ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٣٢٩

٢ مقاييس اللغة ٣١٩/٢

٣ مفردات غريب القرآن ١٧٥

وتحكمها؛ بقدر عدّ الناس الذين يدينون بهذا الدين، أما حين تكون مساحة الالتزام بهذه الشريعة محددا بزمان ومكان معينين بين الدائن والمدين فقط، فتأتي الفتحة لتحدد ذلك الامتداد تحديدا يتناسب فعل التداين؛ لذلك عدل النظم القرآني إلى مفردة أخرى حين تعلق فعل التداين بالله سبحانه وتعالى هي مفردة (قرض)، إذ قال تعالى: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [البقرة:٢٤٥] [١]، فحين تكون المسألة التزاما بين إنسانين يتحاسبان بدقة ولا يعطي أحدهما الآخر إلا بحساب استعمل النظم القرآني الدَين – بفتح الدال – الدال على ذلك، أما حين تعلق الأمر بالله الكريم الذي يعطي بغير حساب فصار قرضا .

رُوح ورَوح :

وردت مفردة (روح) ومشتقاتها في القرآن الكريم في سبعة وخمسين موضعا[٢]، ومعناها عند ابن فارس (ت٣٩٥هـ) السعة، إذ قال: " الراء والواو والحاء أصل كبير مطرد، يدل على سعة وفسحة واطراد، وأصل ذلك كله الريح، وأصل الياء في الريح الواو، وإنما قلبت ياء لكسرة ما قبلها، فالرُّوح روح الإنسان، وإنما هو مشتق من الرِّيح، وكذلك الباب كله، والرَّوح: نسيم الريح " [٣] .

وكلام ابن فارس فيه ما فيه من التكلف التعليمي، فإنه قال: " الراء والواو والحاء " ثم جعل أصل الواو ياء، إذ قال: " وأصل ذلك كله الريح "، ثم عاد وجعل الواو أصل الياء، إذ قال: " وأصل الياء في الريح الواو " وعلل قلب الواو ياء بسبب كسرة الراء، ولم يتكلم على جالب كسرة الراء أصلا، إذ قال: " وإنما قلبت ياء لكسرة ما قبلها "، والحق أن نعدها كلها أصولا تختلف معانيها باختلاف مصوتاتها اختلاقا يقتضيها السياق الذي يطلب صيغة من دون الأُخر حسب المعنى المراد .

واستعملت في القرآن الكريم بمعانيها التي ذكرها ابن فارس (ت٣٩٥هـ) ، إذ قال الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ):" روح: الرَّوح والرُّوح في الأصل واحد، وجعل الرُّوح اسما

---

١ ورد فعل الإقراض في القرآن الكريم حيثما كان الدين مع الله تعالى في اثني عشر موضعا . ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٦٥١

٢ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٤٠٠

٣ مقاييس اللغة ٤٥٤/٢

للنَفَس، ... وذلك لكون النفس بعض الروح كتسمية النوع باسم الجنس نحو تسمية الإنسان بالحيوان، وجعل اسما للجزء الذي به تحصل الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار وهو المذكور في قوله: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء:٨٥] ... والرَّوح للتنفس، وقد أراح الإنسان إذا تنفس "[1] .

ودلالة المصوتات هي التي تحدد الفرق بين هذه المفردات، فإذا أعقبت الراء كسرة طويلة (ريح) دلت على هذه الحالة الغازية الممتدة التي لا تعتني بالمساحة، بل تعتني ببعد مصدرها بغض النظر عن استعمالها في الرحمة أو الغضب كما في قوله تعالى:{ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ } [يوسف:٩٤]، وفي قوله تعالى : { وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ...} [سبأ:١٢]، وفي قوله تعالى:{ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ} [ص:٣٦]، وليس كما ذهب الأصفهاني، إذ قال: " وعامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة "[2]، ولكننا إذا أردنا أن نحصر هذه الحالة في الجسد أعقبنا الراء ضمة طويلة؛ لأن الجمع والتحديد دلالتها ووظيفتها، فكانت الروح التي تمثل سر الحياة، كما في قوله تعالى: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء:٨٥]، وإذا أردنا أن نوسع مكان الروح قليلا أعقبنا الراء فتحة فكانت الـ(رَوح) الذي هو نسيم الريح الذي ينتشر في مكان أكبر من الجسد، كما في قوله تعالى: { فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ} [الواقعة:٨٩] .

سِخريا وسُخريا :

وردت مفردة (سخر) ومشتقاتها في ستة وستين موضعا في القرآن الكريم[3]، وجاءت (سخريا) في ثلاثة مواضع، بكسر السين في موضعين، هما قوله تعالى: { إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ } [المؤمنون:١١٠]، وقوله:

[1] مفردات غريب القرآن ٢٠٦

٢ مفردات غريب القرآن ٢٠٦

٣ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٤٢٦

{ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ} [ص: ٦٣]، وجاءت بضم السين في موضع واحد وهو قوله تعالى: { أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } [الزخرف:٣٢] .

ومعناها الاستذلال، كما قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): " السين والخاء والراء أصل مطرد مستقيم يدل على احتقار واستذلال " [١].

وأشار الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) إلى معنيي الإذل والتسخير، إذ قال : " التَّسْخِيرُ: سياقة إلى الغرض المختصّ قهرا، قال تعالى: { وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ } [الجاثية:١٣] ... فَالْمُسَخَّرُ هو المقيّض للفعل، والسُّخْرِيُّ: هو الذي يقهر فَيَتَسَخَّرُ بإرادته، قال: { لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا } [الزخرف:٣٢] ، وسَخِرْتُ منه، واسْتَسْخَرْتُهُ لِلْهُزْءِ منه، قال تعالى: { إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } [هود:٣٨] .

وانقسم العلماء إلى فريقين حيال التغاير الدلالي لصيغتي (سُخري) بضم السين و(سِخري) بكسر السين؛ فقد نُسب القول بتساويهما في المعنى إلى الكسائي والخليل وسيبويه الخليل[٢] ، ورأى الفراء (ت٢٠٧هـ) أن قراءة الضم أجود، ثم نسب إلى من يقرأ بكسر السين اختلافا بينهما في المعنى، مختتما كلامه بقول الكسائي بتساويهما في المعنى، ولم يعلق على رأيهم وكأنه ارتضاه، إذ قال: " وقوله: (سِخْرِيًّا) و(سُخريّا)، وقد قريء بِهما جَميعًا، والضم أجود، قَالَ الَّذِينَ كسروا ما كَانَ من السُّخرة فهو مرفوع، وما كَانَ من الْهُزْء فهو مكسور، وقال الْكِسَائي: سمعت العرب تقول: بحر لُجّي ولِجّي، ودُريّ ودِريٌّ منسوب إلى الدُّرّ، والكُرْسِيّ والكِرْسِيّ، وهو كَثِير، وهو فِي مذهبه بمنزلة قولهم الْعُصِيّ والعِصيّ والأُسوة والإسوة " [٣].

---

١ مقاييس اللغة ١٤٤/٣

٢ ينظر: معاني القراءات ١٩٧/٢

٣ معاني القرآن ٢٤٣/٢

إلا أن أبا زرعة (ت٤٠٣هـ) حسّن قراءة الكسر؛ لإتباع كسرة الراء، إذ قال: " قَرَأَ نافع وَحَمْزَة وَالْكسَائِيّ {سُخريا} [المؤمنون:١١٠] بِالضَّمِّ وَفِي(سورة ص) مثله وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْكَسْرِ، وَقَالَ الْخَلِيل: هما لُغَتَانِ، وَقَالَ آخَرُونَ بل مَا كَانَ فِي الِاسْتِهْزَاء فَهُوَ بِالْكَسْرِ وَمَا كَانَ من جِهَة السخري فَهُوَ بِالضَّمِّ، وَالْكَسْر أحسن لإتباع الكسرة، وَيُقَوِّي الكسرة قَوْله بعْدهَا {وكنتم مِنْهُم تضحكون} والضحك بالهزء أشبه، وَحجَّة الرّفْع إجماع الْجَمِيع على الرّفْع فِي سُورَة الزخرف {ليتَّخذ بَعضهم بَعْضًا سخريا}؛ فَرد مَا اخْتلفُوا فِيهِ إِلَى مَا أَجمعُوا عَلَيْهِ أولى " [١]، وفي الحقيقة ليس هناك جيد وأجود أو حسن وأحسن؛ فالقراءتان متواترتان سبعيّتان؛ وليس بينهما مفاضلة، ولكن دلالتيهما تختلفان اختلافا يقتضيه السياق؛ لغرض إكمال صورة السُخرية والسِخرية من جميع جوانبها، وهذا دأب النظم القرآني في تصوير الأحداث .

وإذا احتكمنا إلى دلالة المصوتين القصيرين (الضمة والكسرة) لتبين الأمر وتوضح، فإن دلالة الضمة على التحديد والجمع تجعل (سُخريا) دالة على التسخير؛ لأنه تسخير محدود يرضاه المُسخَّر طمعا في الأجر لتسيير أمور الحياة، أما (سِخريا) بالكسر فإنها تدل على الاستهزاء؛ لدلالة الكسرة على الامتداد فتجعل السخرية ممتدة لا تقف عند حد معين، والذي يناسب هذا الامتداد هو الإذلال والاحتقار المرفوض الذي لا يرضاه المسخَّر منه، إذا السِخرية أوسع وأكبر من السُخرية؛ لأن الأولى لغرض الإذلال والاحتقار، والثانية من أجل تسيير معيشة المسخِر والمسخَّر منه، وهناك من القدماء من أدرك هذا التغاير بحسه اللغوي، منهم أبو عبيدة (ت٢٠٩هـ) إذ قال: " ومن كسر (سخريا) جعله من الهزء ويسخر به، ومن ضمّ أولها جعله من السّخرة يتسخرونهم ويستذلونهم " [٢]، والأزهري (ت٣٧٠هـ) إذ قال: " مَنْ قَرَأَ (سُخْرِيًّا) فهو من السُّخْرة، وَمَنْ قَرَأَ (سِخْرِيًّا) فهو من الهُزْء " [٣].

---

١ حجة القراءات ٤٩٢

٢ مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٣٨١ هـ، ١٨٧/٢

٣ معاني القراءات ١٩٧/٢

ويمكننا أن نوجه القراءتين توجيها يتناسب مع السياق تناسبا لطيفا من غير أن نفضل إحداهما على الأخرى، فإن القراء قرءا بالكسر والضم في موضعين من دون الثالث [١]، هما: قوله تعالى: { إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ } [المؤمنون:١١٠]، وقوله: { وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ} [ص: ٦٣]، ومن يسخر في هذين الموضعين هم أناس قد انحرفوا عن منهج الله؛ فليس لديهم رادع من تسخير الناس والسخرية منهم في الوقت ذاته؛ لتكتمل صورة أولئك الطغاة الضالين، ولكن القراء السبع والأربع عشر متفقون جميعهم على القراءة بالضم [٢] في قوله تعالى : { أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } [الزخرف:٣٢]؛ لأن الذي سبب هذا التسخير هو الله سبحانه وتعالى الكامل؛ وهو لا يرفع بعضهم على بعض ليستهزيء بعضهم ببعض، بل لتدبير شؤون الخلق وتسيير أمورهم، فأحوج بعضهم إلى بعض .

شِرب وشُرب :

وردت (شرب) ومشتقاتها في تسعة وثلاثين موضعا في القرآن الكريم [٣]، ومعناها تناول السوائل، قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): " (شَرَبَ) الشِّينُ وَالرَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُنْقَاسٌ مُطَّرِدٌ، وَهُوَ الشُّرْبُ الْمَعْرُوفُ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ مَا يُقَارِبُهُ مَجَازًا وَتَشْبِيهًا، تَقُولُ: شَرِبْتُ الْمَاءَ أَشْرَبُهُ شَرْبًا، وَهُوَ الْمَصْدَرُ، وَالشُّرْبُ الِاسْمُ، وَالشَّرْبُ: الْقَوْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ، وَالشِّرْبُ: الْحَظُّ مِنَ الْمَاءِ " [٤].

---

١ قَرَأَ بالضم نافع وَحَمْزَة وَالْكسَائِيّ {سُخريا} [المؤمنون:١١٠] وَفِي [ص:٦٣] وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْكَسْرِ، ينظر: غيث النفع في القراءات السبع ٤١٩، ٥٠٣،

٢ ينظر: غيث النفع في القراءات السبع ٥٣٠، والميسر في القراءات الأربع عشرة، محمد فهد خاروف، دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، ٤٩١

٣ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٤٦٤

٤ مقاييس اللغة ٢٦٧/٣

وهو المعنى الذي استعمله النظم القرآني، قال الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ): " الشرب تناول كل مائع ماء كان أو غيره، قال تعالى في صفة أهل الجنة: {عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا} [الإنسان:٢١] وقال في صفة أهل النار: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} [يونس:٤] وجمع الشراب أشربة يقال شربته شَربا وشُربا، ... وقال:{ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ } [الواقعة: ٥٥]، والشِرب: النصيب منه قال: { قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ }[الشعراء:١٥٥] ... والمشرب المصدر واسم زمان الشرب ومكانه:{ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ}[البقرة:٦٠]" [١] .

وقال الجوهري (ت٣٩٣هـ): " [شرب] شَرِبَ الماءَ وغيره شُرْباً وشَرْباً وشِرْباً، وقرئ: { فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ } [الواقعة: ٥٥]، بالوجوه الثلاثة[٢]، قال أبو عبيدة: الشَرْبُ بالفتح مصدرٌ، وبالخفض والرفع اسمانِ من شَرِبت " [٣] .

ويبدو أن أبا البقاء العكبري (ت٦١٦هـ) اقتنع بقول أبي عبيدة، إذ قال: " و:{ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ } [الواقعة: ٥٥]، بالضم والفتح والكسر، فالفتح مصدر والآخران اسم له، وقيل هي لغات في المصدر، والتقدير: شربا مثل شرب الهيم " [٤] .

وإذا عدنا إلى دلالة المصوتات وجدنا أن الكسرة تدل على الامتداد، فيدل (شِرب) على الحصة من الماء الذي يشرب في مدة زمنية معينة بغض النظر عن الكمية التي تشرب منها وهي أكبر مما يشرب في المرة الواحدة، كما في قوله تعالى: { قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ } [الشعراء:١٥٥]، وقوله تعالى: { وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ} [القمر:٢٨] .

---

١ مفردات غريب القرآن ٢٥٧

٢ قرأ بالضم نافع وعاصم وحمزة، وقرأ بالفتح باقي السبعة، والأعرج، وابن المُسَيَّب، ومالك بن دِينار، وابن جُرَيج، وقرأ بالكسر مجاهد وأبو عثمان النَّهدي، ينظر: تحفة الأقران في ما قُرِئ بالتثليث من حروف القرآن، أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي ثم البيري، أبو جعفر الأندلسي (ت٧٧٩هـ)، كنوز أشبيليا – المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٨٢ هـ – ٢٠٠٧ م ، ١٠٩

٣ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١٥٣/١

٤ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري(ت٦١٦ هـ)، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م، ٢٥٤/٢

أما إذا كان الحديث عن الكمية التي تُشرَب في الشُربة الواحدة فستكون الكمية مجموعة محدودة، فيكون المشروب جزءا قليلا من تلك الحصة، ويتناسب مصوت الضمة مع هذه الدلالة، كما في قوله تعالى: { فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ } الواقعة:٥٥]، فالتشبيه هنا كائن بالمصدر للمبالغة فيه، أي أن هؤلاء يشربون كما تشرب الهيم من الإبل، وهي الإبل المصابة بداء يقال له الهيام فلا تروى من الماء، والإبل تمص الماء مصاً، ومقدار المصة الواحدة يكون قليلا قياسا بالحصة كلها .

أما إذا كان الحديث عما يشرب في المرة الواحدة، فستكون كمية المشروب بعضا من تلك الحصة الكبيرة، وأكثر من المصة الواحدة؛ ومصوت الفتحة هو الذي يتناسب مع هذه الكمية؛ فقرئت (شرب) في قوله تعالى:{ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ } الواقعة:٥٥]، بضم الشين وفتحها وكسرها، لتكمل القراءات الثلاث صورة كاملة عن أهل جهنم ومدى ظمئهم وكمية الماء المشروب في اليوم، ثم في المرة الواحدة، وطريقة شربهم وعدم ارتوائهم؛ إذ القراءات تكمل إحداها الأخريات من دون تعارض بينها، ولذلك وجه أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) هذه القراءات الثلاث، قائلا: " الشَّرب كالأكل والضرب، والشُّرب كالشغل والذكر، فأما الشِّرب فالمشروب؛ كما أن الطِّحن: المطحون، وقال تعالى: { قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ} [الشعراء:١٥٥]، إنما هو ما كانت تشربه من الماء "[١] .

شِعر وشَعر :

وردت مفردة (شعر) ومشتقاتها في القرآن الكريم في أربعين موضعا[٢]، كما في قوله تعالى: { وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ }[يس:٦٩]، وقوله تعالى: { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا

١ الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي النحوي (ت٣٧٧هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض والدكتور أحمد عيسى حسن المعصراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، ٤/٤١١

٢ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٤٧١

تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ}[النحل:٨٠] .

وللشعر عند ابن فارس (ت٣٩٥هـ) أصلان، إذ قال: " الشّينُ والعينُ والراءُ أصلان معروفان، يدل أحدُهما على ثباتٍ، والآخر على عِلْمٍ وعَلَمٍ، فالأول الشَّعرُ، معرُوفٌ، والجمع أشعارٌ، وهو جمعُ جمعٍ، والواحدةُ شَعرةٌ، ورَجل أشعَرُ: طويلُ شَعرِ الرأسِ والجسدِ ... والبابُ الآخرُ: الشِّعارُ: الذي يتنادى به القوم في الْحربِ ليعرفَ بعضُهم بعضًا "[1] .

وله أصل واحد عند الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) هو الثابت استعير للعلم أيضا، إذ قال: " الشعر معروف وجمعه أشعار، قال: { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ }[النحل:٨٠]، وشعرت أصبت الشعر، ومنه استعير شعرت كذا أي: علمت علما في الدقة كإصابة الشعر، وسُمي الشاعر شاعرا لفطنته ودقة معرفته، فالشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم: ليت شعري وصار في التعارف اسما للموزون المقفى من الكلام، والشاعر للمختص بصناعته ... والشِعار الثوب الذي يلي الجسد لمماسته الشَعر، والشِعار أيضا ما يُشعر به الإنسان نفسه في الحرب أي يُعلم "[2] .

والحقيقة أن أصلها واحد؛ إذ تدل (شعر) على شيء لطيف يتكرر، فإذا كان هذا الشيء اللطيف ينتشر بامتداد بين الناس بسرعة؛ احتاجت إلى الكسرة الدالة على ذلك فكان الـ(شِعر) بكسر الشين، ذلك الكلام اللطيف الذي يحمله الهواء وينقله حيث اتجه، وإذا أردنا لهذا الشيء أن يمتد على الأرض وينتشر دخل فيها مصوت الكسرة الطويلة فكان الـ(الشعير)، أما الشعار الذي يتنادى به القوم في الحرب فهو الشَعر ولكن مع تحديد مساحته مساحة أوسع من مساحة الشَعر فاحتجنا إلى مصوت الفتحة الطويلة الذي يجمع بين الامتداد والمساحة؛ لكي يكون ذلك الكلام (الشعار) محصورا بين القوم فقط من دون أن يتجاوزهم إلى الأعداء .

---

١ مقاييس اللغة ١٩٣/٣

٢ مفردات غريب القرآن ٢٦٢

وإذا أردنا أن نحصر امتداد هذا الشيء اللطيف في مساحة محدودة مفتوحة، احتجنا إلى مصوت الفتحة الدال على ذلك، فكان الـ(شَعر) بفتح الشين؛ لأنه ينبت على الجسم، وإذا أردنا أن نحدده أكثر ونجمعه ونحصره في الجسد احتجنا إلى مصوت الضمة الطويلة الدال على ذلك، فكان الـ(شُعور) بضم الشين .

يصُّدون ويصِّدون:

وردت مفردة (صدّ) ومشتقاتها في القرآن الكريم في اثنين وأربعين موضعا [١]، ومعناها الإعراض والعدول عند ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، إذ قال: " الصَّادُ وَالدَّالُ مُعْظَمُ بَابِهِ يَئُولُ إِلَى إِعْرَاضٍ وَعُدُولٍ، وَيَجِيءُ بَعْدَ ذَلِكَ كَلِمَاتٌ تَشِذُّ، فَالصَّدُّ: الْإِعراضُ، يُقَالُ: صَدَّ يَصُدُّ، وَهُوَ مَيْلٌ إِلَى أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ، ثُمَّ تَقُولُ: صَدَدْتُ فلانًا عن الأَمرِ، إِذَا عدلْتَهُ عنهُ، وَالصَّدَّانِ: جانبا الوادي، الواحدُ صَدٌّ، وهو القياسُ; لِأَنَّ الجانبَ مائلٌ لا محالَةَ، ويقُولُون: إِنَّ الصَّددَ ما استقْبلَ، يُقَالُ: هذه الدَّارُ على صَدَدِ هذهِ، ويقولون: الصَّدَدُ: القربُ، والصدَّادُ: الطَّرِيقُ إِلى الماءِ، والصَّدُّ: الجبلُ، وهذه الكلماتُ الَتي ذكرتُهَا فَليستْ عندي أَصلًا; لبعدِها عن القياسِ، وإِنْ صحَّت فَهِي محمولَة على الأَصلِ، وممّا هو صحيحٌ وليس من هذا البابِ، قَولُهم: صَدَّ يَصِدُّ، وذلك إِذا ضجَّ، وقَرأَ قومٌ: { إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} [الزخرف: ٥٧] ، قَالُوا: يضِجُّون، وَالصَّديدُ: الدَّمُ المختلِطُ بالقَيحِ، يُقَالُ منه: أَصدَّ الجرحُ "[٢] .

وضم الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) معنى المنع إلى الإعراض في الاستعمال القرآني، إذ قال: " الصدود والصد قد يكون انصرافا عن الشيء وامتناعا نحو: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا } [النساء:٦١]، وقد يكون صرفا ومنعا نحو: { وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ } [النمل:٢٤] ... وقيل صد يصُد صدودا وصد يصِد صدا، والصَّد والصُّد من الجبل: ما يحول "[٣] .

---

١ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٤٩٥

٢ مقاييس اللغة ٢٨٢/٣

٣ مفردات غريب القرآن ٢٧٥

وهناك من العلماء من عد (يصُد) و (يصِد) لغتين من لغات العرب لا فرق بينهما في الدلالة [1]، ولكننا إذا عدنا إلى دلالة مصوتي الضمة والكسرة تبين لنا أن (يصُد) بضم الصاد يدل على الصد القوي، ولا جرم في أن الجمع أقوى من التفرق؛ لأن وظيفة الضمة هي الجمع والتحديد في المكان، فالضمة هنا قامت بجمع فعل الصد وحددته في المكان (القلب)؛ فكان مواضع (يصُد) في القرآن الكريم صدا عمليا لا قوليا، كما في قوله تعالى:{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا}[النساء:٦١]، ولقوة هذا الصد أُكد بـ(صدودا) .

أما (يصِد) بكسر الصاد فإنه يدل على الصد الممتد، وهو امتداد أفقي لم يراع الاجتماع والتوحد، فلم يكن بقوة المجتمع في المكان، فالصد يكون صدا قوليا لا فعليا؛ إذ القول يمتد وينتشر والفعل يجتمع في المكان ويستقر، كما هو الحال في الموضع الوحيد في القرآن، إذ قال تعالى: { وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ [الزخرف:٥٧]، فـ(يصِدون) هنا صد قولي لكسر الصاد، وبدليل الآية التي بعدها، إذ قال تعالى: { وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} [الزخرف:٥٨]، فقد افتتحت الآية بـ(وقالوا)؛ ولذلك فُسِر الصدُ هنا بالصياح والضجيج والضحك، قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): " يَصِدُّونَ ترتفع لهم جلبة وضجيج؛ فرحا وجزلا وضحكا بما سمعوا منه من إسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله، كما يرتفع لغط القوم ولجبهم إذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم، وأمّا من قرأ: يصُدّون- بالضم- فمن الصدود، أي: من أجل هذا المثل يصدّون عن الحق ويعرضون عنه، وقيل: من الصديد وهو الجلبة "[2] .

ولذا استعمل النظم القرآني في هذا الموضع فقط حرف الجر (من) مع (يصدون) ولم يستعمل (عن) كما في المواضع الأخرى؛ للدلالة على ابتداء الصد من ذلك المثل؛ لأن (من) معناها الابتداء، من دون الإشارة إلى ما ترتب عليه، أما (عن) فإن معناها المجاوزة، والمجاوزة فيها بعد يترتب عليه عمل، فقال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) عن الحرفين: " وَ(مِنْ) فِي قَوْلِهِ: { مِنْهُ } ... لَيْسَتْ لِتَعْدِيَةِ يَصِدُّونَ إِلَى مَا فِي مَعْنَى الْمَفْعُولِ،

١ إعراب القرآن، النَّحَّاس (ت ٣٣٨هـ) ٧٦/٤

٢ الكشاف ٢٦٠/٤

لِأَنَّ الْفِعْلَ إِنَّمَا يُتَعَدَّى إِلَيْهِ بِحَرْفِ (عَنْ)، وَلَا أَنَّ الضَّمِيرَ الْمَجْرُورَ بِهَا عَائِدٌ إِلَى الْقُرْآنِ وَلَكِنَّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِـ(يَصِدُّونَ) تَعَلُّقًا عَلَى مَعْنَى الِابْتِدَاءِ، أَيْ يَصُدُّونَ صَدًّا نَاشِئًا مِنْهُ، أَيْ مِنَ الْمَثَلِ، أَيْ ضُرِبَ لَهُمْ مَثَلٌ فَجَعَلُوا ذَلِكَ الْمَثَلَ سَبَبًا لِلصَّدِّ "[١] .

ويمكننا أن نوجه قراءتي كسر الصاد وضمها[٢]، على أن الكسر أي الصد بالقول يمثل مرحلة أولى من الصدود، ويمثل قراءة ضم الصاد أي الصد بالفعل والعمل المرحلة الثانية منها؛ إذ تكمل القراءة إحداهما الأخرى .

وهو ما أدركه الخليل (ت١٧٠هـ) بحسه اللغوي وبفهمه لسياق الآيات، إذ قال: " صد: تقول: صَدَّ يصِدُّ صَدّاً وهو شِدَّة الضَّحِكِ والجَلَبة، قال اللهُ- عزَّ وجَلَّ-: { إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ } [الزخرف:٥٧]، أي يَصدّون ويضحَكُون، وصَدَدتُه عن كذا أصُدُّه صداً أي عَدَلْتُه عنه وصَدَدْتُ عنه بنفسي صُدُوداً " [٣] .

وهو ما أكده أبو عبيدة (ت ٢٠٩هـ) ولكنه عد المعنيين مجازا، إذ قال: " من كسر الصاد فمجازها يضجّون ومن ضمها فمجازها يعدلون " [٤] .

ضُر وضَر:

وردت (ضر) ومشتقاتها في أربعة وسبعين موضعا في القرآن الكريم[٥]، بضم الضاد تارة كما في قوله تعالى: { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [يونس:١٢]، وبفتح الضاد تارة أخرى كما في قوله تعالى: { قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }[المائدة:٧٦] .

ولها ثلاثة أصول عند ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، إذ قال: " الضادُ والراءُ ثلاثةُ أُصول: الأولُ خلاف النَّفعِ، والثَّاني: اجتماع الشيءِ، والثالثُ القوةُ، فالأول الضَّرُّ: ضدُ

---

١ التحرير والتنوير ٢٣٩/٢٥

٢ قَرَأَ نَافِع وَابْن عَامر والكسائي {يصُدون} بِضَم الصَّاد، وَقَرَأَ ابْن كثير وَأَبُو عَمْرو وَعَاصِم وَحَمْزَة {يصِدون} بِكَسْر الصَّاد . ينظر: السبعة في القراءات ٥٨٧

٣ العين ٨٠/٧

٤ مجاز القرآن ٢٠٥/٢

٥ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٥١٥

النفعِ، ويُقال: ضَرَّهُ يَضُرُّهُ ضَرًّا، ثم يُحمَلُ على هذا كُلُّ ما جانسهُ أَو قَاربهُ، فالضُّرُّ: الهُزَالُ، والضِّرُّ: تَزَوُّجُ المرأةِ على ضَرَّةٍ، يُقَالُ: نُكِحَتْ فلانةُ على ضِرٍّ، أَي على امرأَةٍ كانت قبلَها، وقالَ الأَصمعيُّ: تَزَوَّجَتِ الْمرأَةُ على ضُرٍّ وَضِرٍّ ... والضَّرَّةُ: اسمٌ مُشتقٌّ من الضَّرِّ، كأَنَّها تَضُرُّ الْأُخرى كما تَضُرُّها تلك ... وأَما الأصلُ الثَّاني فضَرَّةُ الضَّرْعِ: لَحْمتُهُ ... وسُمِّيت بذلك لاجتماعِها ... وأَما الثالثُ فالضَّريرُ: قوةُ النَّفْسِ، ويُقالُ: فلانٌ ذُو ضريرٍ على الشيء، إذا كان ذا صبرٍ عليه ومُقاساةٍ ... ويُقالُ للفرسِ: أَضرَّ على فأْسِ اللِّجامِ، إذا أزمَّ عليه "[1]، وأرى الأصول الثلاثة في الحقيقة أصلا واحدا هو ضد النفع؛ إذ الأصلان الآخران يعودان إليه بحالة أو أخرى .

وكذلك استعملها النظم القرآني، فقد قال الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) : " الضر سوء الحال إما في نفسه لقلة العلم والفضل والعفة، وإما في بدنه لعدم جارحة ونقص، وإما في حالة ظاهرة من قلة مال وجاه، وقوله: { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ }[الأنبياء:٨٤] فهو محتمل لثلاثتها "[2]، ولم يتكلم الأصفهاني على الفرق الدلالي بين البنيتين .

وعدهما الخليل (ت١٧٠هـ) لغتين من لغات العرب، ولكنه ذكر أن الاستعمال العربي يفرق بينهما، إذ قال: " الضَّرُّ والضُّرُّ لغتانِ، فإذا جَمَعْتَ بين الضَرِّ والنَّفْعِ فتَحْتَ الضّادَ، وإذا أفرَدْتَ الضُرَّ ضَمَمْتَ الضاد إذا لم تجعله مصدراً، كقولك ضَرَرْتُ ضُرّاً، هكذا يستعمله العَرَبُ "[3] .

وإذا عدنا إلى دلالة مصوتي الضمة والفتحة وجدنا أن دلالة الفتحة أوسع من دلالة الضمة التي تحدد؛ ويعني ذلك أن الضرر المفهوم من الـ(ضَر) – بفتح الضاد – هو أكبر وأوسع من الضرر المفهوم من الـ(ضُر) – بضم الضاد، وحين عدنا إلى سياقاتهما رأينا أن الـ(ضَر) الواردة في عشرة مواضع في القرآن الكريم[4] جاءت كلها في سياق الضرر العقائدي والأخروي، وهو بلا شك أكبر وأوسع وأشد إضرارا بالإنسان من

١ مقاييس اللغة ٣٦١/٣

٢ مفردات غريب القرآن ٢٩٣

٣ العين ٦/٧

٤ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٥١٥

الضرر الدنيوي، كما في قوله تعالى: { وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا}[الفرقان:٣]، وأما الـ(ضُر) التي وردت في تسعة عشر موضعا في القرآن الكريم فقد جاءت كلها في سياق الضرر الدنيوي كأن يلحق الإنسان ضرر في ماله أو جسده مثلا، وهو يُعد محدودا تحديد الضمة نسبة إلى الضرر الأخروي الذي يتوقف عليه مصير الإنسان إلى الأبد، كما في قوله تعالى: { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ }[الأنبياء:٨٣،٨٤] .

وتجدر الإشارة إلى أن القراء متفقون على القراءة بالفتح أو بالضم في تلكم المواضع التسعة والعشرين إلا في موضع واحد، فقد قرئت (ضر) بفتح الضاد وضمها في قوله تعالى: { سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }[الفتح:١١]، فقد قرأ حمزة والكسائي بالضم وقرأ الباقون بالفتح كما ذكر أبو زرعة (ت حوالي٤٠٣هـ) حين وجه القراءتين، إذ قال: " قَرَأَ حمزة والكسائي {إِن أَرَادَ بكم ضرا} بِالضَّمِّ وقرأ الباقون {ضرا} بِالْفَتْح، وحجتهم فِي الْآيَة وذَلك أَنه ذكر النّفع وهو ضد الضّر وهو قوله تعالى: {إِن أَرَادَ بكم ضرا أَو أَرَادَ بكم نفعا} وَهَذَا مَوْضِعه قَالُوا: لَا يوجد مَقْرُونا بـ(نفع) إِلَّا مفتوحا، وفي التَّنْزِيل: {مَا لَا يملك لكم ضَرا وَلَا نفعا}[المائدة:٧٦]، وقال: {لَا يملكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نفعا وَلَا ضَرا}[الرعد:١٦] في غير موضع من الْقرآن، والضُر بِالضَّمِّ هو السقم والبؤس والبلاء كقوله: {مسني الضُر}[الأنبياء:٨٣] ولم يقل: الضَر، وحجتهما قَوله: {إِن أرادني الله بضُر هَل هن كاشفات ضُرِه}[الزمر:٣٨]، وقد أَجمعوا على ضم الضَّاد ها هنا؛ فَردُّ ما اختلفوا فيه إِلى ما أَجمعوا عليه أولى، وقَال قوم هما لغَتان كالفَقر والفُقر والضَعف والضُعف " [١] .

وعدهما ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) مصدرا بمعنى واحد، إذ قال: " وقَرأَ الجمهور ضَرًّا بِفَتحِ الضَّاد، وقرأَه حمزة والكسائي بضمّهَا وهما بمعنى، وهو مصدرٌ فَيجوزُ أَن يكون

١ حجة القراءات ٦٧٢

هنا مرادًا به معنى المصدر، أَي إِنْ أَرادَ أَنْ يضُرَّكم أَو ينفعَكم، ويجوز أَنْ يكونَ بمعنى المفعولِ كالخلقِ بمعنى المخلوق، أَيْ إِنْ أَراد بكم ما يضُرُّكم وما ينفَعكم " [1] .

وإذا حكمنا دلالة مصوتي الفتحة والضمة وجدنا أن قراءة الضم تدل على الضرر الدنيوي كما أسلفنا؛ فتراعي بذلك قولهم: { سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا }، فكان جواب الله تعالى بقوله: { فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }، أي لا يستطيع أحد أن يُوصِل للأموال والأهلين خيرا أو شرا إلا بإذن الله، فلم الانشغال بهم عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم !؟ ، وأما قراءة الفتح فتدل على الضرر العقائدي والأخروي؛ فتراعي بذلك قولهم: { فَاسْتَغْفِرْ لَنَا }، إذ لو استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم أم لم يستغفر فالأمر بيد الله الملك تعالى، والاستغفار أمر يتعلق بالآخرة؛ فناسبته قراءة الفتح، وهكذا أكملت القراءة إحداهما معنى الأخرى .

ضَعف وضُعف وضِعف:

وردت مفردة (ضعف) ومشتقاتها في اثنين وخمسين موضعا في القرآن الكريم [2]، ولها أصلان عند ابن فارس (ت٣٩٥هـ) خلاف القوة والزيادة، إذ قال: " الضَّاد وَالعينُ وَالفاءُ أَصلان مُتباينان، يدُلُّ أَحدُهما على خلافِ القوَّةِ، ويدُلُّ الآخرُ على أَنْ يُزادَ الشَّيءُ مثلُهُ، فَالأَوَّلُ: الضَّعْفُ والضُّعْفُ، وهو خِلَافُ القوَّةِ، يُقَالُ: ضَعُفَ يَضْعُفُ، ورجلٌ ضعِيفٌ، وقَومٌ ضُعَفَاءُ وضِعَافٌ، وأَمَّا الأَصلُ الآخرُ فَقَالَ الخليلُ (ت١٧٠هـ): أَضْعَفْتُ الشَّيءَ إِضْعَافًا، وضَعَّفْتُهُ تَضْعِيفًا، وضاعَفْتُهُ مُضاعَفَةً، وهو أَنْ يُزَادَ على أَصلِ الشَّيءِ فَيُجْعَلَ مِثْلَيْنِ أَو أَكثرَ "[3].

وكذلك في الاستعمال القرآني، إذ قال الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ): " الضعف خلاف القوة وقد ضعف فهو ضعيف، قال: {ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}[الحج:٧٣]، والضعف قد يكون في النفس وفى البدن وفي الحال، وقيل الضُعف والضَعف لغتان ... والضعف هو من الألفاظ المتضايفة التي يقتضى وجود

١ التحرير والتنوير ١٦٣/٢٦

٢ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٥١٧

٣ مقاييس اللغة ٣٦٢/٣

أحدهما وجود الآخر كالنصف والزوج، وهو تركب قدرين متساويين ويختص بالعدد، فإذا قيل أضعفت الشيء وضعفته وضاعفته ضممت إليه مثله فصاعدا " [١] .

وتكلم الخليل (ت١٧٠هـ) على التغاير الدلالي لصيغتي ضم الضاد وفتحها ولكنه لم يعلل دلالة كسرها، وذكر ثلاثة آراء فيه، إذ قال: " ضعف: ضَعُفَ يضعُفُ ضَعْفاً وضُعْفاً، والضُّعْفْ: خلاف القوّة، ويقال: الضَّعْفُ في العقل والرأي، والضُّعْفُ في الجسد، ويقال: هما لغتان جائزتان في كلّ وجه، ويقال: كلّما فتحت بالكلام فتحت بالضَّعْف، تقول: رأيت به ضَعْفاً، وأنَّ به ضَعْفاً، فإذا رفعت أو خفضت فالضم أحسن، تقول: به ضُعْفٌ شديدٌ، وفَعَلَ ذاك من ضُعْفٍ شديد "[٢] .

وإذا حكمنا دلالات المصوتات فإننا سنكون مع الرأي الأول الذي ذكره الخليل؛ إذ الفتحة الدالة على الاتساع تتناسب مع سعة الضعف في العقل والرأي؛ فلا شك في أن ضعف العقل والرأي أكبر وأوسع من ضعف الجسد، وتتناسب الضمة الدالة على التحديد والجمع مع ضعف الجسد؛ لأنه ضعف محدود قياسا لضعف العقل، إلا إذا أردنا أن نحصر ضعف العقل والرأي في الجسم كالرأس أو الصدر فحينئذ يكون (ضُعف) لضعف العقل، ويكون (ضَعف) لضعف الجسد؛ لأن الجسد أكبر مساحة من الرأس أو الصدر ، أما الثاني: (لغتان جائزتان في كلّ وجه) فإنه لا يتناسب مع دقة نظم القرآن وبيانه، وأما الثالث فإنه يراعي المناسبة الصوتية بغض النظر عن الدلالة، وهو كلام لا يستند إلى قاعدة علمية، إذ يقصد بقوله: (كلما فتحت الكلام) الفتحة الإعرابية وهي لا علاقة لها بحركة البنية الصرفية، ومن خلال هذه الدلالات للمصوتات نستطيع أن نوجه قوله تعالى: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الروم:٥٤]، فإن قراءة فتح الضاد (ضَعف) تشير إلى ضعف العقل، وكذلك يكون الإنسان غالبا في صغره وفي شيبه، وتكمل قراءة الضم (ضُعف) ذلك الضعف في العقل بالضعف في الجسد؛ لترسم لنا القراءتان لوحة الضعف الكامل من جميع جوانبه، فالقراءة الواحدة لا تستطيع الإيفاء بزوايا النظر جميعها، ولكن ما يبدو غريبا هنا هي الصيغة الثالثة لل(ضعف) وهي صيغة كسر الضاد (ضِعف) التي

١ مفردات غريب القرآن ٢٩٥

٢ العين ٢٨١/١

تدل على الزيادة على أصل الشيء بالمثل أو أكثر، كما في قوله تعالى: { قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف:٣٨]؛ إذ الزيادة توحي بالقوة وهي خلاف الضعف، والكسرة تدل على الامتداد، أي امتداد الضعف؛ فيفترض أن يكون ضعفا ممتدا لا زيادة وقوة، إلا أن ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) نقل كلاما عن أبي إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ) يوضح الأمر توضيحا يتناسب مع دلالة الكسرة، إذ قال: " وضِعْف الشَّيْء: مثلاه، وَقَالَ الزّجاج: ضِعْف الشَّيْء: مثله، الَّذِي يُضَعِّفُه "[١]، وكأن مثل الشيء غير متفق مع أصل الشيء بل ينافسه ويضعفه .

كَرْه وكُرْه:

وردت مفردة (كره) ومشتقاتها في القرآن الكريم في أربعين موضعا [٢]، ولها أصل واحد عند ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، إذ قال : " (كره) الكاف والراء والهاء أصل صحيح واحد، يدل على خلاف الرضا والمحبة، يقال: كرهت الشيء أكرهه كرها "[٣] .

وتكلم الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) على الفرق بين دلالتيهما ويبدو انه استفاد من قول الطبري الآتي، إذ قال: " قيل الكَره والكُره واحد نحو: الضَعف والضُعف، وقيل الكَره المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه، والكُره ما يناله من ذاته وهو يعافه " [٤] .

وجاءت بفتح الكاف في خمسة مواضع، هي قوله تعالى: { أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [آل عمران:٨٣]، وقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا } [النساء:١٩]، وقوله تعالى: { قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ} [التوبة:٥٣]،

---

١ المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، ٤١١/١

٢ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٧٠٧

٣ مقاييس اللغة ١٧٣/٥

٤ مفردات غريب القرآن ٤٢٩

وقوله تعالى: { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [الرعد :١٥] ، وقوله تعالى : { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } [فصلت:١١] .

وجاءت (كُره) بضم الكاف في ثلاثة مواضع، هي قوله تعالى:{ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢١٦]، ومرتين في آية واحدة في قوله تعالى: { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا } [الأحقاف:١٥] .

عد الأخفش (ت٢١٥هـ) الصيغتين (كَره وكُره) بفتح الكاف وضمها لغتين لا فرق بينهما في الدلالة، إذ قال:" وهما لغتان مثل الغُسْل والغَسْل، والضُعْف والضَعْف "[١]، إلا أن الطبري(ت٣١٠هـ) فرق بين دلالتيهما؛ فجعل ضم الكاف لحالة الكره الذاتية الداخلية، وجعل فتح الكاف لحالة الكره المفروضة على الإنسان من الخارج، إذ قال :" والكُره بالضم هو ما حمل الرجلُ نفسه عليه من غير إكراه أحد إياه عليه، والكَرْهُ بفتح الكاف، هو ما حمله غيره، فأدخله عليه كرهًا، ... عن معاذ بن مسلم[٢]، قال: الكُرْه المشقة، والكَرْه الإجبار"[٣]، وعدهما أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) مع الكراهية والكراهة مصادر للفعل كَرِه[٤]، ومعظم الآراء الأخرى تحوم حول ما ذكرنا .

---

١ معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م ، ١٨٤/١

٢ شيخ النحو، أَبو مسلم الكوفيُّ، النَّحويُّ، الهَرَّاءُ، مولى محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظِيِّ، روى عن عطاءِ بن السائِبِ، وغيرِه، وما هو بِمُعْتَمَدٍ في الحديث، وقد نقلت عَنْهُ حروف فِي القراءاتِ، أَخذ عنه: الكسائِيُّ، ويقال: إنه صنف في العربية، ولم يظهر ذلك، وكان شِيْعِيّاً، معمرا، وتوفي سنة سبعٍ وثمانين ومائة. ينظر: سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، دار الحديث– القاهرة، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م، ٤٣٣/٧

٣ جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ٢٩٧/٤ ، وينظر: مفردات غريب القران٤٢٩، والكليات ٧٦٩ .

٤ ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ ٣٦٢/٢

وإذا عدنا إلى دلالة مصوتي الفتحة والضمة وجدنا تناسبا مع السياق الذي ورد فيه المصوت، فحين يكون الكره خارجيا وكبيرا ومفروضا على المخلوق كانت الـ(كَره) بفتح الكاف، وحين يكون الكره داخليا محدودا وللمخلوق فيه رغبة كانت الـ(كُره) بضم الكاف، فالقتال مثلا في قوله تعالى: { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢١٦]، مكروه من الإنسان حيث القتل والدماء وأشلاء الإنسان المكرم، ولكنه يختاره راغبا فيه حين لا يرى عزه إلا فيه، وهو المعنى الذي عبر عنه الشاعر بقوله:

وَفِي الشَّرّ نجاة حِين لَا ينجيك إِحْسَان[1]

وكذلك الأم في قوله تعالى: { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا } [الأحقاف:١٥]، فعلى الرغم من الآلام والمشقات التي تعانيها في الحمل والوضع إلا أنها ترغب فيهما وترى وظيفتها ودورها في تلك المعاناة والآلام، فجاءت الضمة لتحكي قصة هذا الحب لذلك الكره، وقد نقل ابن منظور عن ابن بري (ت٥٨٢هـ)[2] قولا دقيقا في التغاير الدلالي بين الصيغتين، إذ قال:" الكَره بالفتح فعل المضطر، والكُره بالضم فعل المختار"[3]؛ فيكون في الضم إيجابية الاختيار وفي الفتح سلبية الاضطرار، وهذا ما يفسر ضم الفاعل لإيجابية إفعال الفعل، ونصب المفعول لسلبية تلقي الفعل.

نَعمة ونِعمة

وردت (نعمة) ومشتقاتها في ستة وأربعين ومئة موضع في القرآن الكريم [4]، ومعناها طيب العيش كما قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ) : " النونُ والعينُ والميمُ فُرُوعُهُ كثيرةٌ، وعندنا أَنَّهَا

١ الفند الزماني، ينظر: شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت٢٣١ هـ)، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (ت٥٠٢هـ)، دار القلم – بيروت، ٧ .

٢ الإمام العلامة، نحوي وقته، أَبُو محمدٍ عَبْدُ اللهِ بنُ بري بنِ عبد الجبارِ بنِ بَرِّيٍّ، المقدسيُّ، ثُم المصريُّ، النحويُّ، الشَّافعيُّ، ولد في رجب سنة تسع وَتسعين وأربعِ مائة وكان يَتحدث ملحوناً، ويتبرم بمن يتفاصح . ينظر: سير أعلام النبلاء سير أعلام النبلاء ٣٣٧/١٥ .

٣ لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣- ١٤١٤ هـ ، ٥٨/١٣

٤ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٨٠١

على كثرتِهَا راجعةٌ إلى أَصلٍ واحدٍ يدلُّ على تَرَفُّهٍ وطيبِ عَيشٍ وصلاحٍ، منه النِّعْمَةُ: ما يُنْعِمُ اللَّهُ تعالى على عبدِهِ به من مالٍ وعيشٍ، يُقَالُ: لِلَّهِ تعالى عليه نِعْمَةٌ، والنِّعْمَةُ: المِنَّةُ، وكذَا النَّعْمَاءُ، والنَّعْمَةُ: التَّنَعُّمُ وطِيبُ العَيْشِ، قَال اللَّهُ تعالَى: {وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ} [الدخان: ٢٧] . وَالنُّعَامَى: الرِّيحُ اللَّيِّنَةُ، والنَّعَمُ: الإِبِلُ، لِما فِيهِ من الخير والنِّعْمَةِ "[١].

الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) : " النِعمة الحالة الحسنة وبناء النعمة بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان كالجلسة والركبة، والنَعمة التنعم وبناؤها بناء المرة من الفعل كالضَّربة والشَّتمة، والنِعمة للجنس تقال للقليل والكثير، قال: { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } [النحل:١٨] و { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ } [البقرة:٤٠] "[٢].

وإذا حكمنا دلالة المصوتات وجب أن تدل (نِعمة) بكسر النون على النعمة الممتدة؛ بسبب دلالة الكسرة على الامتداد، وان تدل (نَعمة) بفتح النون على النعمة الممتدة امتدادا محدودا، أي أن مساحتها أقل من امتداد النِعمة بكسر النون، ولم ترد في القرآن الكريم (نُعمة) التي تدل على النعمة المحدودة جدا؛ وكأن تلك المحدودية تتناقض مع كرم المنعم، وحين رجعنا إلى سياق الآيات الكريمات وجدنا أن صيغة (نَعمة) بفتح النون وردت في موضعين كليهما في سياق سلب النعمة، والموضعان هما: قوله تعالى: { كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ } [الدخان:٢٩]، وقوله تعالى: { وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا } [المزمل:١١]، وأن (نِعمة) بكسر النون وردت في سبعة وأربعين موضعا في القرآن الكريم كلها في سياق طلب ذكر النعمة أو إثباتها، كما في قوله تعالى: { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } [النحل:١٨] [٣] ؛ ولذا عدل نظم القرآن إلى صيغة الـ(نعيم) حين تحدث عن النعمة الممتدة إلى الأبد، إذ

١ مقاييس اللغة ٤٤٦/٥

٢ مفردات غريب القرآن ٤٩٩

٣ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٨٠١

قال تعالى: { يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ } [التوبة:٢١]، وهو ما أتاح وصف تلك النعيم بالـ(مقيم)؛ فوردت النعيم في سبعة عشر موضعا في القرآن الكريم وصفا لنِعَم الجنة عدا موضع واحد جاء لتعظيم نعم الدنيا في يوم القيامة، إذ قال تعالى: { ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ } [التكاثر:٨] .

ويبدو أبن ابن عطية الأندلسي (ت٥٤٢هـ) قد أدرك هذه الفروق مستفيدا من قول الأصفهاني وبحسه اللغوي المرهف؛ فقال في الفرق بين النعمة بالكسر والنعمة بالفتح: " والنَّعمة بفتح النون: غضارة العيش ولذاذة الحياة، والنِّعمة بكسر النون أعم من هذا؛ لأن النَّعمة بالفتح هي من جملة النِّعم بالكسر "[١] .

وهكذا تبين أثر المصوتات القصيرة في توجيه دلالة البنية الصرفية وتحديد مساحة دلالاتها، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

The Effect of Short Inflections of in Signifying the Morphological Structure

Lect. Dr. Shauket Taha Mahmod

Abstract

There are many words in Arabic that are similar in that they are voiceless but different in their inflections. This leads to a difference in their meaning. This difference is obvious in some and in others needs to thoughtfulness. It needs some pondering and thinking to arrive at that different meaning. For example, 'Al-Janna' and 'Al-Junna', 'Al-Dhar' and 'Al-Dhur', 'Al-Karh' and 'Al-Kurh', 'Haml' and 'Heml', etc. The importance of the studies lies in fixing the meaning for each inflection of the three short inflections and using them for similar words arriving at a clear and precise understanding for those words. Then orienting the different reading in one word depending on those meaning.

١ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٧٣/٥